جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجتمع آموزش عالی قرآن و حدیث

پژوهش‌نامه علوم حدیث تطبیقی ، سال نهم، شماره ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۱، ص: ۵۱-۸۲
Journal of Comparative Hadith Sciences, Fall and Winter ۲۰۲۳, ۹(۱۷), P:۵۱-۸۲

The Mission of the Prophets in Africa; Denial and Affirmation (Quranic and Narrative Perspective)*

Hamza Imam[۱]

Ali Akbar Khoddamiyan Arani[۲]

Seyed haider tabatabaei[۳]

Abstract

The mission of the prophets and the call to belief in them is one of the basic issues in Islam, and the issue of their mission to all nations is one of the Quranic and narrative issues. From this standpoint, the study came in this article to reveal the truth about the mission of a prophet in the African continent in terms of denial or affirmation. The importance of the study appears in its fact that it reveals the facts referred to by the Holy Quran and refutes the allegations and accusations of the enemies of the Holy Book revealed from the root of wisdom and knowledge that does not do anything without a purpose and the goal in it. The study consists of an introduction, five topics, and a conclusion. The first dealt with general issues of defining the meanings of terms and its related words. In the second, the discussion revolved around the creation of mankind and the wisdom behind it, then we referred to what Almighty God has singled out for him of the massive blessings to achieve this wisdom, so that it is permissible to establish the argument against him when disbelieving and disobeying. And the third discussed what makes the illusion that the prophets were not sent to the Arabian Peninsula before the mission of the final Prophet at all, so the fourth topic came in proving the mission and dealing with the suspicion of its absence, and the last one ended with proving the mission in Africa like the rest of the regions and continents in general. The researcher benefited from the textual, analytical and comparative approach between the Sunni and Shiite schools to reveal the truth and the correct conclusion. The researcher came out with the result of proving the major issue through the three evidences, and was unable to prove the minor premises, which are the instances of the prophets and their well-known persons.

Keywords: Quran, Narration, Mission, Prophecy, Message (Risalah), Africa.

*. **Date of receiving:** ۲۲/۰۴/۲۰۲۱, **Date of approval:** ۰۷/۰۶/۲۰۲۲.

۱. PhD Candidate of Comparative Exegesis, Al-Mustafa International University, Qom, Iran, "Corresponding Author" (hhmimam٦٦@gmail.com).

۲. Assistant Professor, Department of Hadith Sciences, Al-Mustafa International University, Qom, Iran; (khoddamiyan@gmail.com).

۳ Assistant Professor, Department of Hadith Sciences, Al-Mustafa International University, Qom, Iran; (sydhaidar٧٦@yahoo.com).

جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجتمع آموزش عالی قرآن و حدیث

پژوهش‌نامه علوم حدیث تطبیقی ، سال نهم، شماره ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۱، ص: ۵۱-۸۲
Journal of Comparative Hadith Sciences, Fall and Winter ۲۰۲۳, ۹(۱۷), P:۵۱-۸۲

مقاله علمی ـ پژوهشی

بعثة الأنبياء فی إفريقيا بين النفی و الإثبات (رؤية قرآنية و روائية)*

حمزه امام[۱] و علی‌اکبر خدامیان آرانی[۲] و سید حیدر طباطبایی حکیم[۳]

الملخص

إن بعثة الأنبياء والدعوة إلى الإيمان بهم من المسائل الأساسية فی الإسلام، وقضية بعثتهم إلى جميع الأمم من القضايا القرآنية والروائية، فمن هذا المنطلق جاءت الدراسة فی هذه المقالة للكشف عن حقيقة بعثة نبیّ فی القارة الإفريقية من حيث النفی أو الإثبات. وتظهر أهمية الدراسة فی كونها الكاشفة عن الحقائق التی أشار إليها القرآن الكريم وتفنيد مزاعم الأعداء واتهاماتهم للكتاب العزيز المنزل من مبدإ الحكمة والعلم الذی لا يفعل ما لا غاية والهدف فيه. وتتكون الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث ونتيجة؛ فالأول تطرّق إلى مسائل كلية من تحديد مفاد المفردات وما يتعلق به. وفی الثانی دارالبحث فی خلق الإنسان والحكمة منه، ثم أشرنا إلى ما خصه الله تعالى به من النعم المتوفرة لتحقق هذه الحكمة، بحيث يجوّز إقامة الحجة عليه عند الكفر والعصيان. وناقش الثالث ما يوهم عدم بعثة الأنبياء فی الجزيرة العربية قبل بعثة النبیّ الخاتم مطلقا، فجاء المبحث الرابع فی إثبات البعثة ومعالجة شبهة عدمه، وانتهی الأخير بإثبات البعثة فی إفريقيا كباقی المناطق والقارات عموما. واستفاد الباحث من المنهج النقلی والتحليلی والمقارن بين مدرستی السنة والشيعة للكشف عن الحقيقة والإستنتاج الصحيح. وخرج الباحث بنتيجة إثبات كبرى القضية عن طريق الأدلة الثلاثة، وعجز فی إثبات صغراها، وهی مصاديق الأنبياء وأشخاصهم المعروفين.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الرواية، البعثة، النبوة، الرسالة، إفريقيا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

*. تاریخ دریافت: ۱۴۰۰/۰۲/۰۲ و تاریخ تأیید: ۱۴۰۱/۰۳/۱۷.

۱. دانش‌آموخته دکترای تفسیر تطبیقی جامعة المصطفی ص العالمیة، از کشور نیجریه، «نویسندهٔ مسئول» (hhmimam٦٦@gmail.com).
۲. استادیار گروه علوم حدیث، جامعة المصطفی ص العالمیه، قم، ایران؛ (khoddamiyan@gmail.com).
۳. استادیار گروه علوم حدیث ، جامعه المصطفی العالمیه، قم، ایران (sydhaidar٧٦@yahoo.com).

پژوهش‌نامه علوم حدیث تطبیقی ، سال نهم، شماره ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۱، ص: ۵۱ـ۸۲
بعثة الأنبياء فی إفريقيا بين النفی و الإثبات (رؤية قرآنية و روائية)
حمزه امام و همکاران

المقدمة

إن الإنسان مخلوق لهدف وغاية وهی الوصول إلی الكمال والسعادة الحقيقية، وللوصول إليها فهو فی أمس الحاجة إلی الهداية والقيادة اللتين من الضروريات الأساسية فی حياته المادية والمعنوية، لأنه ناقص فی إدراكاته ويحتاج إلی من يأخذ بيده ويوصله إلی الهدف، فالمرشد الحقيقی هنا هو الله تبارك وتعالی الذی هو المبدئ والعارف بما أبدأ وما يحتاج إليه، ولمّا كان العالم المادی الذی نعيشه لا يسمح بالإرتباط المباشر بين الخالق والمخلوق من هنا جاءت مسألة الوسائط التی تأخذ الرسالة والإرشادات الإلهية من العالم العلوی إلی العالم السفلی وتلك الوسائط التی لها علاقة وإرتباط مباشر بالإنسان هم الملك الأمين ثم الأنبياء والرسل الذين يختارهم الله تعالی بين الناس ويهيئهم باستعدادات خاصة تمكّن لهم تحمّل تلك المسؤولية والتماس بالعالم العلوی، وهم الذين قال تعالی فی كتابه العزيز بأنه أرسلهم إلی جميع الأمم ولم يكونوا خاصة بأمة دون أخری (ستأتی الآيات فی محلها)، و من هنا أردنا البحث و الدراسة فی هذه المقالة حول حقيقة مَن بُعِث من الأنبياء فی القارة الإفريقية أو عدم ذلك.

والهدف من البحث هو الكشف عن الحقائق القرآنية من الإشارات التی جاءت فيه لإثبات حقانية هذا الدين وأهميته تكمن فی البحث عن المسائل الإجماعية القرآنية وحل بعض الإشكالات والشبهات المطروحة عليها.

والسؤال فی الدراسة يتكون فی هذه الجملة: هل يمكن إثبات أو نفی بعثة نبیّ من الأنبياء فی القارة الإفريقية عن طريق النصوص الدينية والتاريخية؟ وإن كان الجواب ب (نعم)؛ كيف لم يذكر القرآن حتی شخصا واحد منهم إطلاقا؟

وفی البحوث والدراسات السابقة للمسألة يمكن القول بأنه لم نحصل علی مقالة أو كتاب معتبر فيها؛ إلا ما كتبه الشيخ النَّيل أبو قرون من علماء السودان فی دراسته الجديدة لقضية بعثة النبیّ موسی‌ﷺ، وحاول إثبات كون المنطقة التی سكنها فرعون موسی والفراعنة قبله بأنها منطقة النوبة الواقعة فی شمال البلاد والذين كان جنسهم من السُود بهيكلية الإفريقيين، فأورد الآثار التاريخية والدراسة التحليلية بمنهجه الخاص لإثبات بعثة النبیّ يوسف وموسی عليهما السلام فی بلاد السُوَد من الأفارقة، وهی دراسة جديرة بالتأمل.

والمنهج الذی نستخدمه فی هذه الدراسة -إضافة إلی المنهج النقلی والتحليلی- هو المقارن بين المدرسة الشيعية والسنية وتحليل النصوص الواردة فی المسألة للخروج بالنتيجة الصحيحة المعتبرة إن شاء الله تعالی.

الف. التعريفات

إن هذا القسم سيبحث عن المفردات الأساسية وبعض المسائل التى تتعلق بها من المقارنة بين المراد من النبوة والرسالة، كما سيتطرق إلى قضية عدد الأنبياء والرسل الواردة فى الروايات الإسلامية من الشيعة والسنة.

الأول: البعثة لغة و اصطلاحا

أولا: البعث فى الأصل اللغوى تعنى الإثارة والتحريك مطلقا (ابن‌فارس، ١٤٠٤: ٢٦٦/١)؛ ويختلف باختلاف المُثار والمحرَّك، مثل: «**بَعَثْتُ الناقَة بمعنى أَثَرْتها، وبَعَثَهُ من منامه، أى أَهَبَّه. وبَعَثَ الموتى: نَشَرَهُم ليوم البعث**» (الجوهرى، لا، ٢٧٣/١). وفى القرآن قال تعالى: ﴿**وَالْمَوْتى يبْعَثُهُمُ اللَّهُ**﴾ (الأنعام: ٣٦)، اى يخرجهم ويسَيرهم إلى القيامة، وقوله تعالى أيضا: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يبْحَثُ فِى الْأَرْضِ**﴾ (المائدة: ٣١)، اى قيضه. وبمعنى الإرسال أيضا قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا**﴾ (النحل: ٣٦)، نحو ما فى الآية الأخرى: ﴿**أَرْسَلْنا رُسُلَنا**﴾ (المؤمنون: ٤٤) (الراغب الإصفهانى، ١٤١٢: ١٣٢).

ثانيا: نقصد بالبعثة فى البحث المعنى الأخير؛ اى إرسال الأنبياء فى إفريقيا وبعثتهم بين أممها وأقوامها طوال سكونة البشر على المعمورة.

الثانى: النبوة لغة و اصطلاحا

أولا: النبوة؛ فهناك اختلاف بين أصحاب اللغة فى جذر هذه المفردة؛ هل هى مأخوذة من النَّبَوِ بالواو، فيكون الفعل: نَبَا ينبُو نَبْوًا ونَبَاوَةً بمعنى تباعد وتجافى؟ أو من النَّبْإ والإنباء بالهمزة، ويكون الفعل: أَنبَأَ ينبِئُ نَبْأ وإِنبَاءً بمعنى الخبر والإخبار؟ فمن المعنى الأول يقال بما ارتفع من الأرض النَّبْوَة أو النباوة. وإذا كانت النُّبُوَّة من هذا الأصل فتعنى الرفعة، والنبىّ بمعنى من ارتفع شأنه ومكانته على غيره من سائر الناس، ويجمع على الأنبياء. (الجوهرى، لا، ٦، ص٢٥٠٠)، وأما إذا كانت مأخوذة من (النَّبَإ) بالهمزة فمعناها الخبر والنبىّ يعنى المُخبِر (الراغب الإصفهانى، ١٤١٢: ٧٨٩). ويرى الآخرون إن المفردة –سواء بالواو أو بالألف– ذات أصل واحد وهو (نبأ) بالهمزة فخُفِّفت فى موارد أخرى، فصارت بالألف أو الواو (المصدر نفسه، ص٧٩٠).

ثانيا: وأما اصطلاحا فقد قالوا بأنّ النبوّة سفارة بين اللّه و بين ذوى العقول من عباده، لإزاحة علّتهم فى أمر معادهم و معاشهم. والنبىّ هو الإنسان المخبر عن اللّه تعالى بإحدى الطرق المعروفة (السبحانى، ١٤١٢: ٢٠/٣). وقال بعضهم: هو إنسان كامل مخبر عن اللّه تعالى بالوحى؛ إذ الوحى مختص بالأنبياء، و هو نوع رابطة وقعت بينه و بين أنبيّائه (الخرازى، ١٤١٧: ٢١١/١).

الثالث: إفريقيا لغة و اصطلاحا

أولا: إفريقيا لغة؛ فهناك اختلافات وأقوال كثيرة فی أصلها. فمجمل الأقوال ما جاء فی الموسوعة الحرة وبعض المواقع الإلكترونية حيث قالوا بأنه يطلق اسم أفرى على العديد من البشر الذين كانوا يعيشون فی شمال أفريقيا بالقرب من قرطاجة (وهی مدينة فی بلاد تونس)، فقالوا بإمكان رجوع أصل الكلمة إلى اللغة الفينيقية «أَفَار» بمعنى «غُبَار»، لكن هناك نظرية أخرى أكدت عام ۱۹۸۱م أن الكلمة نشأت من الكلمة الأمازيغية إفرى أو إفران، والتی تعنی الكهف فی إشارة إلى سكان الكهوف، بحيث يشير اسم أفريقيا أو إفرى أو أفير إلى قبيلة بنی يفرن الأمازيغية التی تعيش فی المساحة ما بين الجزائر وطرابلس. وقالوا بأن قرطاج فی العصر الرومانی أصبحت عاصمة إقليم أفريقيا الذی كان يضم الجزء الساحلی ويعرف اليوم بليبيا. وأما الجزء الأخير من الكلمة «قا» فهو مقطع يلحق بآخر الكلمات الرومانية، ويعنی «بلد» أو «أرض». كما قالوا بأنه مما حافظ على الاسم فی أحد أشكاله أيضاً إطلاقه على مملكة إفريقيا الإسلامية التی نشأت فی وقت لاحق فی تونس الحالية (جيوبابيتون مايكل، ۱۹۰۳: ۱٦۱؛ أدوارد ليبسكای، ۲۰۰٤: ۲۰۰).

ثانيا: المراد بإفريقيا اليوم هی عبارة عن واحدة من قارّات العالم القديم، وتُعتبر ثانی أكبر قارّةٍ بعد قارّة آسيا، يحدُّها من الجهة الغربية المُحيط الأطلسی، ومن الشّمال البحر الأبيض المُتوّسط، ومن الشرق المُحيط الهندی والبحر الأحمر، ومن الجنوب المياه الإقليمية المُشتركة للمُحيطی الأطلسی والهندی. تحتوی قارّة أفريقيا على أربعة وخمسين دولة بين الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وهی مقسمة إلى خمسة أقسام: الدولة الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية ثم الدول الإفريقية الوسطی. (مصدر سابق نفسه ومقالة بعنوان: أفريقيا؛ معلومات أساسية والموقع: **https://www.aljazeera.net/specialfiles**).

ب. خلق الإنسان وهدفه

فی بداية البحث يجب التطرق إلى أمر أساسی يبتنی كل المباحث عليه، وهو خالقيته تعالى للبشر والحكمة من ذلك، ثم ما يجب القيام به من قبله تعالى لتحقق تلك الحكمة والغاية من هذه الخلقة.

الأول: خلق الإنسان

فی الحقيقة إن الإنسان العاقل بالرجوع إلى نفسه وفطرته، مؤمن ومعتقد بوجود خالق مبدئ لهذا الكون وما فيه من عجائب الخلق وآيات القدرة والتدبير التی منها الإنسان نفسه، ومهما كان منكرا وعنيدا ومتكبرا وفارًّا عن التكليف فإن فطرته الطاهرة تكذبه وتوبّخه وتدعوه إلى التدبّر والإحتياط فی الأمر؛ وعلى هذا الأساس نجد آيات قرآنية متعددة تؤيد هذا النداء الداخلی وتدعوه كذلك إلى التفكّر

والتدبّر والتعقّل وتحاول قطع الإعتذارات الواهية التى قد يلجئ إليها فرارا من الإذعان والخضوع إلى التكاليف التى تلقى على عاتقه، لأنّ وراء كل شيءٍ صادرٍ من العاقل يوجَد هدف، ولازم تحقّق الهدف وجوب تكاليف، وهو أمر يريد بعض الناس دائما ابتعادَ أنفسهم عنه. وفى سورة القيامة بعد سرد مجموعة من الآيات الشريفة الدالة على مثل هذا التصرف قال تعالى: ﴿**بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصيرَ وَلَوْ أَلْقى مَعاذيرَ**﴾ (القيامة: ١٤) اى شاهد على نفسه بما تقوم به الحجة، ولو قدّم الأعذار للناس وفى دارالتكليف، واسترسل فى المعاصى مع إرخاء الستر، ففى عمق نفسه يعترف بالحقيقة التى ينكرها فى الظاهر (الطوسى، لا، ١٩٥/١٠).

وفى سورة غافر بعد إيراد استدلالات واضحة لإثبات ألوهيته وخالقيته وحاكميته على جميع الكون قال: «**ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ لا إِلهَ إلا هو**» الآية: ٦٢، وكذا مثلها فى سورة الأنعام «**ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعْبُدُوهُ**» الآية: ١٠٢.اى ذلكم الذى أوجد كل هذا، وأنعم عليكم بهذه النعم هو اللّه الواحد الأحد خالق جميع الأشياء لا إله غيره ولا رب سواه، فكيف تنقلبون عن عبادته، والإيمان به وحده مع قيام البرهان الساطع، والدليل الواضح، وتعبدون غيره من الأصنام التى لا تخلق شيئا وهى مخلوقة منحوتة بأيديكم. (المراغى: لا، ٩٠/٢٤).

وعلى كل حال؛ فمن المسلّم به فطريا وعقليا وشرعيا أن الله تعالى هو الخالق المبدئ الوحيد الذى لا شريك له فى جميع خلقه ولا مساعد له فى إدارة أمره، فهو الواحد الأحد، ومن جملة هذه المخلوقات الإنسان الموجود على هذا الكوكب الأرضى مخَوَّل إليه ومسَخَّر له كل شيء يحتاج إليه فى بقائه وإدارة حياته للوصول إلى كماله وغاية خلقه.

الثانى: حكمة خلق الإنسان وهدفه

بعد إثبات وجود الخالق فطرة وشرعا بالإختصار هنا تصل النوبة إلى البحث عن المراد والمقصود من هذا الخلق؛ هل يوجد هدف وحكمة وراء ذلك أو لا؟ فهذا الجواب أيضا يمكن الإجابة عليه كما سبق بالأدلة الثلاثة فقد قال الله تعالى فى خلق العالم والكون كله: ﴿**وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَينَهُما لاَعِبينَ ما خَلَقْناهُما إِلاَّ بِالْحَق**﴾ (الدخان: ٣٨-٣٩)، كما قال فى خصوص خلق الإنسان: ﴿**أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً**﴾ (المؤمنون: ١١٥). وعند ما لم يخْلَق عبثاً ولا لعباً فهل يعقل أن يترك سدى: ﴿**أَ يحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يتْرَكَ سُدى**﴾ (القيامة: ٣٦) اى مهملا لا يكلف ولا يجازى؟ (البيضاوى، ١٤١٨: ٢٦٨/٥).

فى الحقيقة؛ كيف يخلق اللّه هذا العالم العظيم للإنسان ولا يكون لهاى هدف منه؟ كيف يمكن ذلك والحال أنّ كل عضو من أعضائه خلق لهدف خاص، فالعين للنظر، والأذن للسمع، والقلب لإيصال الغذاء والأوكسجين والماء إلى جميع الخلايا، حتى أنّ لخطوط أطراف أصابع الإنسان حكمة،

ولكن هل يحسب أن لا هدف فی خلق كلّ ذلك؟ (الشيرازی، ١٤٢١: ٢٣٢/١٩)، إن دراسة الإنسان لطريقة وجوده فی نشأته الأولی الخاضعة للتخطيط الإلهی الدقيق فی حركة الوجود، يدلّ علی أن اللّه لا يترك الإنسان مهملا، لأن الإهمال يتنافی مع الحكمة فی ذلك. (فضل الله، ١٤١٩: ٢٥٣/٢٣)؛ بل لا نعرف أحدا يظن انه غير مسؤول عن شیء بالغا ما بلغ من الجهل والضلال، ومن ظن هذا فقد ازری بنفسه، وأنزلها منزلة الحشرات والحيوانات، ولو ترك سبحانه الإنسان سدی لكان عابثا فی خلقه لاعبا فی أفعاله؛ تعالی الله عن ذلك علوّا كبيرا (مغنية، ١٤٢٤: ٤٧٤/٧).

إذن؛ بالنظر إلی ما سبق من النكات الدقيقة والتحليلات العقلية الظريفة من العلماء الأعلام فی خلق الإنسان فلا بد من وجود هدف وحكمة واضحة ومعلومة لديه حتی يقوم بواجبه تجاه ذلك، لأنه بالرجوع إلی كينونته وعقله يخضع بأن شكر المنعم واجب، وهذا الواجب العقلی يمكن تحققه بكل ما يقبل العقل صحته وسلامته كما يمكن وقوع الإنحراف فيه، فمن هنا تتدخّل الشريعة وتبين له حقيقة هذا الشكر وكيفيته حتی لا ينحرف عن المنهج الصحيح والصراط السوی فقد قال تعالی فی ذلك بكل صراحة: ﴿**وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيعْبُدُون**﴾ (الذاريات: ٥٦).

فحسب ظاهر الآية الكريمة نری أن العبادة والخضوع والطاعة المطلقة للخالق سبحانه وتعالی هو الهدف الأساسی لخلق الإنسان؛ لكن هذه العبادة والخضوع المطلق ما هو المراد منه؟ فهنا نودّ اكتشاف المراد الحقيقی للعبادة ثم معرفة الحكمة والغاية التی حصرها الله سبحانه فی الآية الشريفة.

والعِبَادَة فی اللغة خِلاف الحُرِّية وأصل العُبُودِيةِ الخضوعُ والذلُّ (الجوهری، لا، ٥٠٣/٢)، وتعنی غاية الخضوع التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو اللّه تعالی، ولهذا قال: ﴿**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِياهُ**﴾ (الإسراء: ٢٣) (الراغب، لا، ٥٤٢).

وأما المراد من العبادة فی الآية الشريفة أو آيات القرآن قال السيد قطب بعد كلام موسَّع: حقيقة العبادة تتمثل فی أمرين رئيسيين: الأول: هو استقرار معنی العبودية للّه فی النفس؛ای استقرار الشعور علی أن هناك عبدا و ربّا، عبدا يعْبُد، و ربّا يعْبَد... وليس فی هذا الوجود إلا عابد ومعبود وإلا رب واحد والكل له عبيد. والثانی: هو التوجه إلی اللّه بكل حركة فی الضمير، وكل حركة فی الجوارح، وكل حركة فی الحياة، التوجه بها إلی اللّه خالصة، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنی غير معنی التعبد للّه. (سيد قطب، ١٤١٢: ٣٣٨٧/٦).

كما أشار السيد فضل الله إلی مصاديقها بلفظ آخر: إن مفهوم العبادة واسع يتسع لكل النشاطات التی يرضاها اللّه ويحبها، ويأتی بها العبد من موقع إحساسه بحضور اللّه الدائم فی كل مفردات حياته الخاصة والعامة، بحيث يشعر بالذوبان فی وجود اللّه والحاجة الدائمة إليه والارتباط به (السيد فضل الله، ١٤١٩: ٢٢٦/٢١-٢٢٥).

إذن؛ فمعنى العبادة لله تعالى هنا تتركب بالأمرين: هـى الإحسـاس الـداخلى بالـذّلّ أمـام الخـالق المبدئ، والخضوع الظاهرى طبقا لإرادته فى جميع الحركـات والسـكنات الفرديـة والإجتماعيـة لكـل شخص ومجتمع؛ هذا فى المراد من العبادة.

وأما حول حكمة خلق الإنسان الذى تذكره الآية فهناك أقوال وآراء مختلفة بين المفسرين؛ فـالبعض يرى أن الغاية هى العبادة نفسها خالصا لله تعالى من الإشراك به شـيئا (الطباطبـايى، ١٤١٧: ٣٨٨/١٨)، والآخر يعتقد بكونها إعطاء الحياة معنى التى تخرجها عـن العبثيـة النافيـة بـالنص القرآنـى عـن طريـق العبادة المذكورة فى الآية الشريفة (السيد فضل الله، ١٤١٩: ٢٢٤/٢١-٢٢٥)، بينما الثالـث يـرى أنهـا عبارة عن الحياة الطيبة الدائمة فى الآخرة باختياره لا فى الدنيا الحقيرة الزائلة (مغنيـة، ١٤٢٤: ١٧١/٦)، والرابع يذهب إلى أن الهدف هو الوصول إلى الكمال والسعادة الأبدية، وإن كانـت كـل الأقـوال ليسـت ببعيدة فيما بينها (ابن‌عاشور، لا، ٤٥/٢٧).

فهناك روايات متعددة تؤيد الرأى الأول كما فى علل الشرائع بسنده عن أبى عبد اللهﷺ قال: «**خلقهم ليأمرهم بالعبادة**». (الصدوق، ١٣٨٥ش، ج١٣/١)، وفى التوحيد أيضا بسنده عن الإمام الكاظمﷺ قـال: «**إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عز وجل: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**» (الصدوق، ١٣٩٨: ٣٥٦).

لكن الكثير من العلماء والمحققين لم يقتعنوا بكون العبادة غايـة وهـدفا لوجـود الإنسـان، وأن اللـه تعالى ليس بمحتاج حتى يخلق الجن والإنس لقضاء حاجته. وعلى كل حال؛ بعد إثبات كـون الإنسـان لم يخْلَق سدًى، فأى هدف قلنا به فى خلق الإنسان فإنـه للوصـول إليـه يحتـاج إلـى الإرشـاد والتوجيـه لمعرفته، ثم التحرك نحو تحققه، لكن الخالق والهادف فى الخلق هـو اللـه تعـالى وهـو فـوق الحـواس والإدراك والعالَم المادى، فكيف يتم معرفة حقيقة هذا الهدف من قبل الإنسان؟ وما هو الطريق والوسيلة إلى ذلك بحيث ينتفعون به ويعيشون فى أمان وسلامة، وإذا لم يعملوا بـه يسـتحقون العقـاب فـى كـلا الدارين؟

فمن هنا تأتى وظيفة إنسان آخر والذى يكون واسطة ومختارا من قبله تعالى للقيام بها، فهذا الإنسان المختار والمنتخب هم الأنبياء والرسل والأوصياء الذين يبعثهم الله ويرسلهم إلى المجتمعات البشرية فترة تلو الأخرى كما قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل: ٣٦)، وبعد الإخبار بقصص بعض الأنبياء قال: «**ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا**» المؤمنون: ٤٤، فالنبوة والرسالة لم تكن منقطعة منذ أن خلق الله البشر وجعله فى هذا الكوكب الأرضى.

الثالث: إقامة الحجة على الإنسان

إن للإنسان –كما سبق– خالقا ومبدئا وهو الله تعالى، وخَلْقَه للكون والعالم بما فيه البشر لم يكن سدى ولا عبثا من دون هدف وغاية، ولمّا لا يمكن التواصل المباشر بينه تعالى وبين جميع خلقه لأسباب مذكورة سابقا، لزم جعل الواسطة، وإن المكلف للقيام بتعليم الناسِ الهدفَ وإرشادهم إليه هم الأنبياء والرسل فمَن يخلُفُهم من الأوصياء والأئمة بعدهم، وإن الغاية الحقيقية هى الوصول إلى الكمال والحياة الطيبة فى الآخرة التى سماها الله تعالى بدار الحيوان (العنكبوت:٦٤)، فلما كان الإنسان خُلِق حرًّا فى انتخاب أحد الطريقين إما طريق الكمال والسعادة فى دارالبقاء أو التخلى عنها والتوجه نحو الهوى والحقارة الدنيوية من هنا قال الله تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (النساء: ١٦٥)، وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الناس ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها. (أنوار التنزيل، ١٤١٨: ١١٠/٢)، وعلى هذا الأساس فإنّ وصلة الوحى ظلت باقية بين البشر، ولم يكن من عدل اللّه أن يترك البشر دون مرشد أو قائد، أو أن يتركهم دون أن يعين لهم واجباتهم وتكاليفهم ... فقد أحكم اللّه العزيز القدير خطّة إرسال الأنبياء ونفذها بكل دقة. (الشيرازى، ١٤٢١: ٥٣٦/٣).

ومن الآيات فى هذه المورد قوله تعالى: ﴿**وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا**﴾ (الإسراء: ١٥)، إن مفهوم الآية بإطلاقه يشمل العذاب الدنيوى بالإستئصال كما وقع على بعض الأمم الماضية، والعذاب الأخروية أيضا (الشيرازى، ١٤٢١: ٤٢٢/٨). إن مقتضى العدل والحكمة والرحمة الإلهية أن لا يعذب أحدا فى الدنيا والآخرة على فعل شىء أو تركه إلا بعد الإنذار، ولا يعاقب الناس إلا بعد إعذار وبعث الرسول إليهم لإقامة الحجة عليهم بالآيات المبينة للعقائد الحقة وأحكام الحلال والحرام والثواب والعقاب (الزحيلى، ١٤١٨: ٣٦/١٥).

وطبقا لما سبق من كون خلق الإنسان وإنزاله إلى هذه المعمورة لهدف وهو الوصول إلى الكمال والحياة الطيبة الأبدية لا اللهو أو العبث، وأن معرفة الناس به أمر ضرورى و واجب عقلى قبل كونه شرعيا، و أن إدراك حقيقة هذا الهدف يحتاج إلى مبلِّغٍ ومُبَينٍ من خالق الكون والإنسان، وأن هذا المُكَلَّف بالإبلاغ هو النبىّ والرسول أو الذين يخلفونهم، وبدون هذا الإرسال لا يمكن الوصول إلى الهدف المنشود وإقامة الحجة على الناس عند عدم تحققه؛ ومن كل ذلك يتَبَين لنا أنه لا بد من إرسال رسول أو نبىّ أو وصى أومبلغ عن الله تعالى إلى المجتمعات البشرية جمعاء، وإلا فسوف يكون الخلق عبثا و بلاهدف؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وعليه فلا مناص من ارسال الأنبياء أو الرسل أو من يقوم مقامهم فى إنجاز ذلك الهدف فى جميع أنحاء العالم، ومنها المجتمعات الإفريقية. ومن هنا نترقى إلى النقطة التالية:

إن المعلوم والمشهور حسب المصادر الدينية والتاريخية مثل القرآن أو التوراة و الإنجيل هو اختصاص بعثة الأنبياء فی حدود جغرافيا الآسيا الغربية، وقلّما يتصور بعثة نبیّ آخر فی بعض المناطق خارج هذا الحدود؛ فهل يوجد دليل على بعثة نبیّ أو رسول فی المجتمعات الإفريقية السمراء؟

ج. نفی بعثة الأنبياء فی إفريقيا

الأول: الفرضيات المطروحة والجواب عليها

إننا بالرجوع إلى الكتاب العزيز تواجهنا بعض النصوص الدالة بظاهرها ومفهومها الأوّلی على عدم بعثة نبیّ أو رسول فی الجزيرة العربية نفسها فكيف بالمناطق أو القارات الأخرى التی لم يتحدث عنها القرآن الكريم ولم يتطرق إلى أقوامها وثقافاتها وحضاراتها وتاريخها ومجتمعاتها بشكل ملموس، مثل القارة الإفريقية أو الآسيا الشرقية وغيرهما من المناطق والقارات الأخرى؛ فهل سبب ذالك هو عدم سكونة البشر فی تلك الأماكن؟ أو لعدم حاجتهم إلى بعثة الأنبياء وإرسال الرسل؟ أو لشیء آخر خفی علينا، أو ماذا؟

فی البداية سنجيب على هذه الأسئلة الأربعة فی السطور الآتية، ثم نعود إلى الآيات المشار إليها بأنها النافية لبعثة الأنبياء فی الجزيرة العربية قبل النبیّ الأكرم صلّی الله عليه وآله و سلّم للكشف عن المراد منها، فنقول:

أولا: إن عدم ذكر المناطق والقارات الأخرى غير الجزيرة العربية وبلاد الشام أو ما يسمى اليوم «الشرق الأوسط» او «الآسيا الغربية» كليا، لم ينشأ من عدم سكونة البشر فيها؛ لأننا بالرجوع إلى الكتب والمصادر التاريخية المعتبرة – مثل (تاريخ اليعقوبی، ۸۱/۱) و (تاريخ الطبری، ۱) و (تاريخ ابن‌خلدون، ۱۲۸/٦) وما بعدها– يمكننا الجواب عن السؤال الأول بالنفی، وإن الإنسان كان ساكنا فی تلك البُقَع من دونای إشكال.

وثانيا: إنه بالنظر إلى ما سبق فی بيان الهدف والغاية من خلق الإنسان ـالتی هی الوصول إلى الكمال والفوز بمرضاة الرحمن عن طريق الخضوع والطاعة المطلقة له تعالی_ يظهر أن بعثة الأنبياء والرسل من الضروريات الأساسية لتحقق ذلك الهدف المقدس، وبدونها سيكون خلق العالم بأجمعه _ و لا أقل من خلق جنسی الجن والإنس _ عبثا و هذا الذی ينفيه الدليل العقلی والنصوص الشرعية أيضاً؛ بل حتى فطرة الإنسان عن طريق ميلها إلى حب المعبود والخضوع إليه تنفی ذلك مطلقا. (الشيرازی، ١٤٢٦: ١٨٣/٥–١٨٧).

وثالثا: إنه مما اتفق عليه جميع المسلمين بطوائفهم المختلفة، كون نزول القرآن من أجل هداية الإنسان وإيصاله الكمال والسعادة الأبدية، ولم يكن أبداً كتاب علوم إنسانية أوغيرها حتى يجمع كل ما سبق من النظريات العلمية والتواريخ البشرية الدينية أو الثقافية والإجتماعية وغيرها من الأمور والمسائل الأخرى ثم يعلّق على ذلك بنظرياته وآرائه الخاصة؛ بل طرح بعض القضايا التاريخية كتجارب بشرية لأمم ومجتمعات خالية عبرة وعظه للأجيال الآتية تمهيدا لتحقق الهدف المنشود. (فضل الله، ١٤١٩: ١/١٠٤).

إذن؛ فالسؤال الثالث أيضا ليس بمقبول؛ لأن سبب عدم بيان كل القصص والتواريخ فی القرآن لم يخف علينا، وهو كون القرآن كتاب نور وهداية لإيصال البشرية إلى الكمال والسعادة الأبدية، ولم يكن كتاب قصص وتاريخ حتى نأخذ النتيجة بأنه لم يبعث رسول أو نبیّ فی منطقة من المناطق أو قارة من القارات.

رابعا: وفی الجواب عن السؤال الأخير يمكن القول بأنه لما كان القرآن كتابا نازلا للهداية فإنه لا يحتاج إلى نقل جميع تواريخ البشر أو أكثر الفصول أو المباحث والمسائل التی لا علاقة لها بالهداية ولا تصبُّ إليها، وإنما يحتاج الإشارة إلى بعض القضايا والمسائل المرتبطة بذلك فقط. ولذا نراه فی كثير من الموارد بعد بيان بعض القصص يقول فی سور مختلفة: «ذلك من أنباء الغيب»، «ذلك من أنباء القرى»، «تلك من أنباء الغيب»، «نقص عليك من أنباء الرسل»، «نقص عليك من أنباء ما سبق» (ليس الهدف هنا من إيراد الآيات البحث التفصيلی؛ وإنما نودّ الإشارة الخاطفة فی إثبات جزئية القصص المذكورة بأنه فی أواخرها يشير إلى أنه جاء بشیء قليل و ليس بكل ما حدث) للإشارة إلى أنه حتى الأمم والأنبياء المذكورين قصصهم ليس كل القصص مذكورة، وإنما شیء بسيط منها للعبرة والعِظَة. وسيأتی التفصيل فی الفصل الأخير من المقالة إن شاء الله تعالى.

الثانی: تقسيم آيات المبحث

وأما الآيات المشار إليها سابقا حول نفی بعثة الأنبياء فی الجزيرة العربية قبل بعثة النبیّ الأكرم| فهی على قسمين: القسم الأول ما يدل على عدم بعثة الأنبياء فی زمن محدد ومعين، والثانی ما يطلق الكلام فی عدم البعثة والأرسال.

القسم الأول: مخاطبة أهل الكتاب

وهذا القسم هو ما يخاطب أهل الكتاب بأن الله تعالى أرسل إليهم رسولا بعد فاصلة زمنية من إرسال الرسل السابقين، وهی قوله من سورة المائدة: الآية ١٩ ﴿**قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يبَينُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشيرٍ وَ لا نَذيرٍ**﴾، وفی إطلاقها تدل على عدم بعثة نبیّ أو رسول بين العرب وغيرهم.

فالفترة لغة السكون بعد الحدّة واللين بعد الشدّة والضعف بعد القوّة. (الراغب، لا، ص٦٢٢). وفی المصطلح القرآنی عبارة عن انقطاع ما بين النبيّين. (الطوسی، لا، ٤٧٩/٣). وفی عدد سنوات هذا الإنقطاع أقوال كثيرة بين العلماء تتراوح ما بين خمسمأة إلى ستمأة سنة. (الشيرازی، ١٤٢١: ٦٥٧/٣، وابو حيان، ١٤٢٠: ٢١٣/٤، والرازی، ١٤٢٠: ٣٣٠/١١). والفترة هنا تعنی الفاصلة الزمنية ما بين النبیّ عيسی﵇ والرسول محمّد|؛ والمراد بالرسل هم رسل أهل الكتاب المتعاقبين من عهد موسی إلى المسيح، أو المسيح خاصّة، وأمّا غير أهل الكتاب فقد جاءتهم رسل مثل خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان (ابن‌عاشور، لا، ٧٤/٥).

لكن السؤال الذی يطرح نفسه هو: هل فی تلك الآونة كان الانقطاع كليا ولم يوجدای حجة إلهية بين الناس أو وجدت لكنها لم تُغَطِّ الفترة المذكورة؟ فهناك قولان فی المسألة:

الأول يقول بانقطاع كلی ولو فی برهة من الزمن لوجود إشارات إلى إرسال بعض الأنبياء لإبلاغ الرسالة السابقة، كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيهِمُ اثْنَينِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ﴾ فی سورة يس، أو خالد بن سنان العبسی كما فی بعض الروايات (الآلوسی، ١٤١٥: ٢٧٤/٣).

فهذا القول مبنی على عدم الإعتقاد بمبدإ الوصية والخلافة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال الرازی: «سميت المدة التی بين الأنبياء فترة لفتور الدواعی فی العمل بتلك الشرائع». (الرازی، ١٤٢٠: ٣٣٠/١١)، ای لضعف أسباب العمل بالشرائع وانتشار الفساد فيها؛ وهو الأمر الذی نراه مخالفا لحكمة البعثة، حيث كان الناس فی أمس الحاجة إليها ثم تُمنَع من ذلك.

وأما الثانی فيذهب إلى انقطاع النبوة والرسالة كما تصرح الآية بذلك فی قوله «عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» والذی يعنی على انقطاع من الرسل، حيث نرى الدلالة على أن زمن الفترة لم يكن فيه نبیّ. (الطوسی، لا، ٤٧٩/٣). ولكنها لا تنفی وجود قائم مقامه، وهم الأوصياء المبلغون عن الله تعالى للقيام بدورهم فی تبين الرسالة للناس وإرشادهم إليها، فالقرآن الكريم حين يقول: «عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِّ» إنّما ينفی وجود الرسل فی تلك المدّة، ولا يتنافی هذا الأمر مع القول بوجود أوصياء الرسل فی ذلك الحين (الشيرازی، ١٤٢٠: ٦٥٧/٣). فهذا الرأی مبنی على القول بلزوم الوصية واستمرار وجود حجج الله بين عباده حتى لا تكون لهم عليه حجة؛ وهو خلاف المبنی الأول.

ومما يدل على صحة هذا الرأی هی الآيات الدالة على بعثة الأنبياء وإرسال الرسل إلى كل الأمم -ستأتی فی المبحث القادم إن شاء الله- وما يوافق ذلك فی الروايات المتواترة عن المعصومين﵈. ومنها قول أميرالمؤمنين على﵇ فی بعض خطبه: «**اللَّهُمَّ بَلَى! لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرٍ مَشْهُورٍ، أَوْ خَافٍ مَغْمُورٍ؛ لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَ بَيِنَاتُهُ، وَكَمْ ذَا وَأَينَ أُولَئِكَ؟ أُولَئِكَ وَاللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً وَالْأَعْظَمُونَ خَطَراً، بِهِمْ يحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ وَبَينَاتِهِ؛ حَتَّى يودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيزْرَعُوهَا فِی قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ**» (الصدوق، ١٣٩٥: ٢٩١/١).

پژوهش‌نامه علوم حدیث تطبیقی ، سال نهم، شماره ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۱، ص: ۵۱ـ۸۲
بعثة الأنبياء فی إفريقيا بين النفی و الإثبات (رؤية قرآنية و روائية)
حمزه امام و همکاران

فالمراد بالفترة من عدم بعثة الرسل لا يعنى فقدان حجة الله بين عباده من الأوصياء الذين يقومون مقام الأنبياء والرسل خلافةً عنهم بالنصب الإلهى والتنفيذ النبوى فى كل زمان من الأزمنة. وهذا فى القسم الأول

القسم الثانى: مخاطبة شخص النبىّ الخاتم

وهذا القسم فهو ما خاطب الله نبيّه محمّد| فى سور مختلفة الدالة على ما أنعم الله تعالى به على قوم العرب من بعثة رسول بينهم ومنهم، حيث تدل الآيات على أنه تعالى لم يرسل إليهم أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين سابقاً. ونجد هذه الآيات فى سور القصص: ٤٦، والسجدة: ٣، وفاطر: ٤٤، وكذا يس: ٦. ونكتفى بقوله تعالى فى القصص ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾، وآية فاطر كما قال تعالى: ﴿**وَما آتَيناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يدْرُسُونَها وَما أَرْسَلْنا إِلَيهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذيرٍ**﴾ لوحدة مفاهيمها فى الدلالة.

ففى هذه الآيات يمكن تحديد الجهتين من الإختلاف بين العلماء؛ الجهة الأولى فى المراد بـ (ما) فى قوله تعالى «**لِتُنْذِرَ قَوْماً ما**»، والجهة الثانية فيما يتعلق بتحقق بعثة الأنبياء بين العرب وعدمها. سنقرر آراء المفسرين فيها أوّلا، ثم نأتى بالتحليلات والخروج بالرأى المختار ثانيا.

١) الجهة الأولى: فيها ثلاثة أقوال فى المراد بـ (ما) من قوله «**لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ**» هل هى نافية أو مصدرية أو موصولة اسمية؟ وذهب أكثر المفسرين إلى الأول، وشذ القول الثانى والثالث (الطبرى، ١٤١٢: ٩٨/٢٢؛ القرطبى، ١٣٦٤ش، ج٦/١٦).

أ) القول الأول: هو المشهور المناسب لسياق الآية والجو المكتنف بها، وعليه نبنى الكلام والتحليلات كذلك.

ب) القول الثانى: فقد ذكره القرطبى ولم أكتشف مصادره من الكتب الروائية، كما نسب الثالث إلى ابن‌عباس وعكرمة وقتادة أيضا كذلك، وذهب إليه أبو حيان الأندلسى بعد نقله رأى الزمخشرى حيث قال: والذى ذهب إليه غير ما ذهب إليه المفسرون، وذلك أنهم فهموا من قوله: «**ما أَتاهُمْ**»، و«**ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ**»، أن ما نافية، وعندى أن ما موصولة، والمعنى: لتنذر قوما العقاب الذى أتاهم. (مِنْ نَذِيرٍ): متعلق بأتاهم، اى أتاهم على لسان نذير من قبلك. وكذلك «**لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ**»:اى العقاب الذى أنذره آباؤهم، فما مفعولة فى الموضعين، وأنذر يتعدى إلى اثنين (ابوحيان الأندلسى، ١٤٢٠: ٤٣٠/٨).

ت) القول الأخير: نقل مصادر الشيعة رواية مؤيدة له كما فى الكافى بسنده «**عَنْ أَبِي‌بَصِيرٍ عَنْ أَبِي‌عَبْدِ اللَّهِ‌عليه‌السلام قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ﴾ قَالَ لِتُنْذِرَ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَنْتَ فِيهِمْ كَمَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ وَعِيدِهِ**» (الكلينى، ١٤٠٧: ٤٣٢/١). لكن كما قلنا إن ما اتفق عليه كتب تفاسير الشيعة والسنة إلا شرذمة قليلة هو القول الأول، ولم يعتمدوا على الثانى والثالث كما تشهد بذلك الجهة الآتية.

۲) الجهة الثانية: فهی متأصلة علی الرأی الأول من الجهة الأولی، فقد تواجهنا آراء مختلفة فی تحقق البعثة ولو بنبیّ واحد وعدم تحقق ذلك؛ حیث هناك من العلماء من ذهب إلی أن الآیات ومضامینها تتحدث عن قوم العرب فی زمن البعثة وآبائهم الأقرباء، وأما القرون الماضیة فقد ثبتت البعثة فیهم بالأنبیاء مثل هود وصالح وشعیب (راجع: السبزواری، ۱٤۱۹: ۳۹٦؛ الآلوسی، ۱٤۱۵: ۲۹٦/۱۰).

ومنهم من یقول بأن المراد من عدم إرسال الأنبیاء والرسل خاص بالأنبیاء من أولوا العزم وأصحاب الکتاب والشرائع فی الفترة بین النبیّ عیسی والرسول محمّد علیهما السلام، وأما غیرهم ممن تقوم بهم الحجة سواء من الأنبیاء وغیرهم فلا؛ لأن الأرض لا تخلو من حجة. (الشیرازی، ۱٤۲۰: ۲٤٤/۱۲).

ومنهم من یری أنه لم تحدث بعثةای نبیّ أو رسول فی قوم قریش، فنبوّة إبراهیم وإسماعیل کانت قبل تکوُّن هذا القوم، ولا یمکن نسبة بعثتهما إلیهم. (ابن‌عاشور، لا، ٦۹/۲۰؛ الطبری، ۱٤۱۲: ۵۷/۲۱).

ویعتقد البعض بأن المراد بالقوم هم العرب مطلقا وأنهم بعد النبیّ إسماعیل﵇ لم یأتهم رسول، وأما نبوّة موسی وعیسی علیهما السلام فخاصّة ببنی إسرائیل، فلم تکن نبوّتهما شاملة کنبوّة الرسول الأکرم. (الزحیلی، ۱٤۱۸: ۱۱۵/۲۰؛ السید قطب، ۱٤۱۲: ۲۸۰٦/۵؛ الخطیب، لا، ٦۰۳/۱۱).

ومنهم من قال بأن المراد بالقوم هی قریش خاصة و هم الذین لم یبعث إلیهم رسول قبل النبیّ|، وأما غیرهم من العرب فقد بعث فیهم، مثل خالد بن سنان العبسی. نسبه السید الطباطبایی إلی بعض المفسرین. (الطباطبایی، ۱٤۱۷: ۲٤٤/۱٦).

لکن مع تعدد الآراء فی تحقق البعثة بین قریش خاصة أو العرب عامة نشاهد رجوع کلها إلی ما سبق من اختلاف المبانی فی شمولیة إقامة الحجة علی الناس وعدمها؛ فإن الشیعة الإمامیة تعتقد بوجود حجة الله علی الأرض فی کل زمان، وأنها لا تخلو من قائم بأمر الله تعالی؛ وإن کان للحجة مصادیق متعددة من نبیّ أو رسول أو وصی اعتمادا علی الدلیل العقلی والنقلی من القرآن والروایات المتواترة (الشیرازی، ۱٤۲۰: ۹٤/۱۳)، فالمراد بالقوم فی الآیة الأولی هم العرب فی زمن البعثة، والمراد بالآباء هم القریبون بعهد بعثة الرسول الأکرم|. (الطباطبایی، ۱٤۱۷: ۵۱/۱٦)، والمراد بالنذیر فی الآیة الثانیة هو النبیّ العظیم من أولی العزم والذی یکون صاحب کتاب وشریعة، (الطباطبایی، ۱٤۱۷: ۲٤٤/۱٦؛ الشیرازی، ۱٤۲۰: ۹٤/۱۳).

پژوهش‌نامه علوم حدیث تطبیقی ، سال نهم، شماره ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۱، ص: ۵۱ـ۸۲
بعثة الأنبياء فی إفريقيا بين النفی و الإثبات (رؤية قرآنية و روائية)
حمزه امام و همکاران

الثالث: روايات فی المبحث

وهنا أيضا نورد الروايات من الشيعة والسنة، ونبدأ بما نقل عن الأئمة الأطهار ثم نردفه بالثانی فنقول:

أولا: روايات الشيعة

ومن الروايات المتواترة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ما رواه البرقی بسنده «**عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَمَّا انْقَضَتْ نُبُوَّةُ آدَمَ وَانْقَطَعَ أَكْلُهُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيهِ يا آدَمُ إِنَّهُ قَدِ انْقَضَتْ نُبُوَّتُكَ وَانْقَطَعَ أَكْلُكَ فَانْظُرْ إِلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَآثَارِ الْعِلْمِ وَالِاسْمِ الْأَعْظَمِ فَاجْعَلْهُ فِی الْعَقِبِ مِنْ ذُرِّيتِكَ عِنْدَ هِبَةِ اللَّهِ فَإِنِّی لَنْ أَدَعَ الْأَرْضَ بِغَيرِ عَالِمٍ يعْرَفُ بِهِ دِينِی وَيعْرَفُ بِهِ طَاعَتِی وَيكُونُ نَجَاةً لِمَنْ يولَدُ مَا بَينَ قَبْضِ النبیّ إِلَى ظُهُورِ النبیّ الآخَرِ**، وبسنده أيضا **عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يقُولُ: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُتْرَكُ إِلَّا بِعَالِمٍ يحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيهِ وَلَا يحْتَاجُ إِلَى النَّاسِ يعْلَمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَام**» (البرقی، ۱۳۷۱: ۲۳۵/۱).

وفی تفسير القمی قَالَ أميرالمؤمنين عليه السلام: «**لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ إِمَامٍ قَائِمٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ إِمَّا ظَاهِرٍ مَشْهُورٍ وَ إِمَّا خَائِفٍ مَقْهُورٍ؛ لِئَلَّا يبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَ بَينَاتُه**» (القمی، ۱۳٦۷: ۳۵۹/۱).

ثانيا: روايات السنة

وأما الإخوة من أهل السنة فإنهم على خلاف ما ذهبت إليه الإمامية كما سبق، فإنهم لا يرون ضرورة وجود حجة وإمام من قبله تعالى نيابة عن النبیّ أوالرسول للقيام بوظائفهما عند عدم البعثة؛ وعليه يكون عدمُ بعثة نبیّ أو رسول فی فترة من الزمن، وخلوُّ الأرض من حجة الله تعالى لا إشكال فيه؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء والقائمين مقامهم فی تنفيذ وظائفهم.

وفی صحيح الترمذی بسنده فی حديث طويل عن النبیّ| قال: إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم. (الترمذی، ٤٨/٥). وهذه الرواية مشهورة ومعروفة فی كتب الصحاح والسنن والمسانيد المعتبرة، فهی رواية صحيح ومورد قبول العلماء من أهل السنة وقاموا بشروح كثيرة عليها. مثل ما قال العينی: وإنما سمی العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالى ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا**﴾ (عمدة القاری فی شرح صحيح البخاری، ٤٧٩/٢).

فوراثة الأنبياء خاصة للعلماء العاملين بالشريعة والمقتدين بالنبیّ|، وأمّا الكلام حول الإمامة والوصية والخلافة المكتوبة والمفروضة من قبله تعالى فلا يعتقدون بذلك بتاتا كما تعتقد به الشيعة وتستدل على ذلك بروايات متواترة عندها. وعليه تكون معانی الآيات عندهم على ظاهرها، ومهما تخالفت الإتجاهات بينهم فهناك اتفاق فی وجود الفترة الزمنية التی لم تكن على الأرض حجة من نبیّ أو رسول أو وصی و إمام.

الرابع: الدراسة التحليلية

وعلى كل حال؛ فعلماء الشيعة والسنة متفقون على عموم مفهوم الآيات وهو عدم بعثة نبيّ منذر فی قوم العرب، واختلفوا فی تخصيصها؛ حيث قالت الشيعة بأن المراد هو عدم بعثة نبیّ من أولی العزم وصاحب الشريعة قبل النبیّ محمّد| لا مطلق النبوة وانقطاع الحجة والحبل المتصل بين الأرض والسماء؛ لأن هذا يخالف الآيات الأخرى والروايات المتواترة كما يخالف حكمة بعثة الأنبياء والغاية من خلق الإنسان فهو غير مقبول عقلا وشرعا. بينما علماء السنة أوّلا لا يعتقدون بلزوم الحجة فی فترة انقطاع النبوة والرسالة، فالعلماء العالمون العاملون هم ورثة الأنبياء القائمون بوظائفهم فی جميع مجالات التبليغ والهداية والإرشاد، وعليه فلا محذور فی انقطاع النبوة فی برهة من الزمن ولا يؤدی ذلك إلى الخلل فی تحقق الهدف المنشود من خلق الإنسان. لكن بناء على أدلة الإمامة والخلافة من مصادر المسلمين يعنی القرآن والسنة، وما تواتر عن المعصومين﵈ من قيام حجة فی كل زمن وضرورة ذلك منذ حياة البشر على المعمورة فإن القول الأصح والمعتمد هو ما تذهب إليه الشيعة الإمامية وعليه المسلك والمخرج من الإشكالات الكثيرة التی قد ترد على المسلمين من غيرهم.

وعليه؛ فالآيات المذكورة لا تدل على عدم بعثة الأنبياء والرسل فی الجزيرة العربية مطلقا فضلا عن عدم نفی وجودها فی القارات والمناطق الأخرى التی لم يكن هدف القرآن بيان القصص والتواريخ للأمم الماضية بحيث يمكن الإستناد إليه فی نفی ذلك، فليس هناك آية صريحة أو إشارة قوية يمكن الإستدلال بها فی نفی بعثة نبیّ من الأنبياء فی إفريقيا، لإن القرآن الكريم لم يتطرق إلى مثل هذه المسائل أصلا، بل إذا تصفّحناه لا نجد كلاما صريحا حول أوصياء وخلفاء الأنبياء والحجج الذين قامت بهم الحجة الإلهية على الناس بعد كل نبیّ من الأنبياء المذكورين فی الكتاب العزيز؛ بل اكتفی بذكر ثلة قليلة من السفراء الإلهيين وطرفا من التاريخ الرسالی والقاعدة الكلية فی جميع الأمم من إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع وهو ما يتضمنه المبحث التالی.

د. شمولية النبوة والرسالة بإفريقيا

الأول: الآيات فی المبحث

هناك آيات متعددة دالة بكل صراحة على عمومية وشمولية الرسالة الإلهية لكل الأمم الماضية من إفريقيا وغيرها، بنحو لا يمكن استثناء كل أمة من الأمم عن هذا العطاء الربانی، وهی آيات مخالفة ومعارضة للآيات السابقة فی ظاهرها البدوی بحث يمكن حلُّ المشكلة بينهما بالجمع العرفی، فمن هذه الآيات فی الباب ما ورد فی سورة يونس: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِی بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ**

وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الآية:٤٧)، وقوله فی سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فی كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (الآية:٣٦)، وقوله فی سورة الرعد: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ (الآية:٧)، وكذا فی سورة فاطر: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فيها نَذير﴾ (الآية: ٢٤).

فالآيات الأربعة تشترك فی كلمة (الأمة) وتختص الأُوليان بلفظ (الرسول) والأخيرتان ب(النذير)، كما تشترك الثلاثة الأولى فی لفظ (كل) للدلالة على العموم والشمول، واستعمل النكرة فی سياق النفی للدلالة عليه فی الأخيرة.

فی البداية نتطرق إلى المراد من مفردة (الأمة) ثم ننتقل إلى التفاسير والكتب الروائية المربوطة بالمسألة.

إن أصل كلمة (الأُمَّة) كما فی كتب اللغة يعود إلى جذر (أ م م) والتی قال فی معناها الفراهيدی: كل شیء يضم إليه سائر ما يليه تسميه العرب أُمًّا؛ مثل أمّ الرأس: الدماغ، وأمّ القرى: مكّة، وكل مدينةٍ: أمّ ما حولها من القرى، وأمّ القرآن: كل آية محكمة، (الفراهيدی، ٤٢٦/٨)، كما يقال فی مصاديق ذلك أيضا: أُمُّ الشیء: أصلُهُ، والأُمُّ: الوالدةُ، والأُمَّةُ: الجماعةُ، وكلُّ جنس من الحيوان أُمَّةٌ، والأُمَّةُ: القيامةُ، والأُمَّةُ: الطريقةُ والدِينُ. يقال: فلانٌ لا أُمَّةَ له، أی لا دينَ له ولا نِحْلَةَ له. (الجوهری، ١٨٦٣/٥).

وفی المعنى الإصطلاحی نكتفی بما قال الراغب: الأُمَّةُ كل جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا. (الراغب، ٨٦). وهو مستنبط من اللغة والآيات القرآنية المربوطة بمسائل مختلفة، وهو أجمع التعاريف وأوسعها نطاقا.

والمفهوم فی كل منها واحد وهو إثبات بعثة الأنبياء والرسل لكل أمة من الأمم التی خلت من قبل، وهی سنة إلهية لهداية البشر وإيصاله إلى الكمال والحياة الطيبة الأبدية، بحيث لم نجد آية أخرى صريحة تنفی هذا العموم أو تخصصه بنحو يخرج القارة أو الأمة الإفريقية وغيرها منه، فما جاء فی نفی البعثة من قريش قبل إرسال النبیّ المصطفی| يدل التاريخ البشری على كون المراد منه شيئا آخر كما سبق فی المبحث الثانی.

وعلى ذلك نقول: إن الله تعالى قرَّر قاعدة كلية فی طريق حياة البشرية التكاملية، وهی بعثة الأنبياء والمرسلين فی كل أمة من الأمم الماضية وجعل الحجج الذين يحافظون على الرسالة ويبلغونها عنهم ويرشدون الناس إلى ما فيه صلاحهم ومعادهم.

ومهما يكن الأمر؛ فمعتقد كلا المدرستين هو أن الرسالة الإلهية والشريعة السماوية -طبقا لمجموع هذه الآيات- منذ نبوة آدمﷺ وإلى النبیّ الخاتم| لم تنقطع، وكانت مستمرة إما بالرسل والأنبياء والأوصياء المنصوبين من قِبَله تعالى، أو بالعلماء العدول المجتهدين عند الشيعة أو العلماء العاملين وورثة الأنبياء عند أهل السنة؛ فهذه القاعدة غير قابلة للتخصيص -كما سيأتی- وكل دليل أو نص يكون ظاهره معارضا أو مخالفا لها فلابد من تأويله بما يتطابق معها.

الآية الأولى:

هنا نود الإتيان بأقوال العلماء فی شرح وتفسير الآية حتى يظهر المراد منها فنقول: ومن أقوال المفسرين فی تفسير الآيات المتقدمة ما قاله أبوحيان فی قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾: دلت الآية على أنه تعالى ما أهمل أمة، بل بعث إليها رسولا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾ (الأندلسی، ١٤٢٠: ٦٧/٦)، وكذا فخرالدين: هذه الآية تدل على أن كل جماعة ممن تقدم قد بعث اللّه إليهم رسولا، واللّه تعالى ما أهمل أمة من الأمم قط، ويتأكد هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾ (الرازی، ١٤٢٠: ٢٦١/١٧). وفی «**من هدى القرآن**»: إن هذا الرسول قد يكون رسولا يوحى إليه مباشرة من اللّه، وقد يكون وليا من أولياء اللّه تابعا لرسول من قبل اللّه، يقوم بتبليغ رسالات اللّه بمثل ما كان يفعل الأنبياء. (المدرسی، ١٤١٩: ٣٩٧/٤)، فالولی هنا يراد به الوصی والإمام. واستنتج الشيخ مكارم القاعدة الكلية من الآية الكريمة بقوله: وفی الحقيقة إن الآية الكريمة تبين لنا قانونا كليا فی شأن كل الأنبياء، ومن جملتهم نبیّ الإسلام|، وكل الأمم ومن جملتها الأمّة التی كانت تحيی فی عصر النبیّ| (الشيرازی، ١٤٢٠: ٣٦٩/٦).

الآية الثانية:

وهی قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِی كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ يعتقد السيد الطباطبايی بأنها إشارة إلى أن بعث الرسول أمر لا يختص به أمة دون أمة، بل هو سنة إلهية جارية فی جميع الناس بما أنهم فی حاجة إليه وهو يدركهم أينما كانوا (الطباطبايی، ١٤١٧: ٢٤٢/١٢)، وعلى هذا الأساس قال الرازی: فبين تعالى أن سنته فی عبيده إرسال الرسل إليهم، وأمرهم بعبادة اللّه ونهاهم عن عبادة الطاغوت (الرازی، ١٤٢٠: ٢٠٤/٢٠).

الآية الثالثة:

ما جاء فی سورة الرعد: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ تواجهنا فيها أقوالاً مختلفة بين المفسرين فی المراد بالهادی، منهم من أورد ثلاثة أقوال، ومنهم من ذكر الأربعة، وبعضهم أوصلها إلى خمسة؛ لكن أهمها الثلاثة كما يقول ابن‌جزی: أحدها أن يراد بالهادی اللّه تعالى؛ فالمعنى إنما عليك الإنذار واللّه هو الهادی لمن يشاء إذا شاء، و الثانی: أن يراد بالهادی النبیّ| (الصلاة من ابن‌جزی ولذا لم يأتی ب: آله)؛ فالمعنى إنما أنت نبیّ منذر ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر. و الثالث: روی أنها لما نزلت، قال رسول اللّه|: أنا المنذر وأنت يا علی الهادی (الغرناطی، ١٤١٦: ٤٠١/١؛ الرازی، ١٤٢٠: ١٤/١٩).

ویری مشهور علماء أهل السنة أن المراد من الهادی فی الآیة الکریمة هم الأنبیاء والمرسلین السابقین، فکأنه تعالی ذکر المصداق فی صدر الآیة ثم خَتَمها بتقریر قاعدة کلیة لکنها محددة بالأنبیاء فقط؛ فصدر الآیة جاء کصغری القضیة وذیلها ککبری. قال بعضهم فی تفسیرها: إنما أنت رجل أُرسلت منذراً ومخوّفاً لهم من سوء العاقبة، وناصحاً کغیرك من الرسل... «**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ**» من الأنبیاء یهدیهم إلی الدین، ویدعوهم إلی اللّه بوجه من الهدایة. (الزمخشری، ۱٤۰۷: ۵۰۱٤/۲)، وقال آخر: «**إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ**» مرسل للإنذار من سوء عاقبة ما نهی اللّه تعالی عنه کدأب من قبلك من الرسل... «**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ**» ای نبیّ داع إلی الحق مرشد إلیه بآیة تلیق به وبزمانه (الآلوسی، ۱٤۱۵: ۱۰۷/۷).

بینما علماءُ الشیعة وسّعوا دائرةَ المعنی بحیث تشمل مصادیق أکثر من الأنبیاء وغیرهم، حیث نری الشیخ مکارم بعد نقل الروایات الدالة علی القول الثالث فی علی﵇ یقول: بالنظر إلی ما تحتویه هذه الکلمة (الهدایة) من المعنی الواسع، فإنّها غیر منحصرة بعلی﵇، بل تشمل جمیع العلماء وأصحاب الرّسول| الذین کانوا یقومون بنفس المهمّة، وتخصیص علی بن أبی طالب﵇ فی هذه الرّوایات بهذا العنوان یدلّ علی انّه المصداق البارز له (الشیرازی، ۱٤۲۰: ۳٤٦/۷). وقال السید العلامة: وقد جرت سنة الله فی عباده أن یبعث فی کل قوم هادیا یهدیهم. والآیة تدل علی أن الأرض لا تخلو من هاد یهدی الناس إلی الحق إما نبیّ منذر وإما هاد غیره یهدی بأمر الله (الطباطبایی، ۳۰۵/۱۱).

الآیة الرابعة:

وکاد یظهر اتفاق العلماء والمفسرین فی المراد من قوله تعالی: ﴿**وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ**﴾ حیث یعتقد الجمیع بدلالة الآیة علی عمومیة وشمولیة البعثة للجوامع البشریة -حسب مبنی المدرستین- فتقوم الحجة إما بنبیّ و رسول مبعوث، أو بوصی و إمام أو بعالم عدل منصوب، أو عالم تقی وارث الأنبیاء قائم بوظائفهم الإلهیة.

ومن هذا المنطلق قال مفسری أهل السنة والجماعة: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ (أهل عصر)، إِلَّا خَلا (مضی) فِيها نَذِيرٌ (من نبیّ أو عالم ینذر عنه). (البیضاوی، ۱٤۱۸: ۲۵۷/٤)، وقال آخر:ای ما من أمة من الأمم الماضیة قبل أمتك إلا فیها نذیر نبیّ أو عالم یخوفهم. (ابن‌عجیبة، ۱۸۹/۳)، و الأخیر یری أن دعوة اللّه تعالی قد عمت جمیع الخلق، وإن کان فیهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته؛ لأن آدم بعث إلی بنیه ثم لم تنقطع النذارة إلی وقت محمّد|، والآیات التی تتضمن أن قریشا لم یأتهم نذیر، معناه نذیر مباشر (ابن‌عطیة، ۱٤۲۲: ٤۳٦/٤).

والسید العلامة علی مبناه من کون القضیة من سنن الله تعالی کما سبق فی آیات أخری قرر ذلك هنا أیضا حیث قال: إنا أرسلناك بالتبشیر والإنذار ولیس ببدع مستغرب، فما من أمة من الأمم إلا وقد

خلا ومضى فيها نذير؛ فذلك من سنن الله الجارية فى خلقه (الطباطبايى، ١٤١٧: ٣٧/١٧). وأثبت الشيخ الطهرانى هذه القاعدة فى كلام مختصر بقوله: «وإِنْ مِنْ أُمَّةٍ» توسيع لساحة الرسالات طول المكان وعرض الزمان، فما أنت بدعا من الرسل (الصادقى، ١٣٦٥: ج٣٢٧/٢٤). وبسّط المفكر اللبنانى الشرح فى إثبات القاعدة كما قال: إن هذا المبدأ الذى يقول: ان اللّه لا يترك الناس سدى، وانه لا بد أن يلقى الحجة عليهم قبل الحساب والعقاب هو مبدأ عام لا يقبل التخصيص بأرض شرقية ولا غربية، ولا بجنس أبيض أو أصفر أو أسود ... ولكن الحجة لا تنحصر بوجود النبىّ بذاته فى كل بلد وفى كل جيل، بل تكون به أو بكتاب منزل، أو بشريعة إلهية يقوم عليها نواب عن النبىّ، حتى إذا توفاه اللّه بقيت الحجة من بعده قائمة بين الناس. (مغنية، ١٤٢٤، ٤٩٣/٢). إذن؛ فالرسالة والنذارة عامة وشاملة لجميع الأمم التى منها الأمة الإفريقية، ولا دليل على إخراج‌اى أمة من الأمم عن هذه القاعدة الإلهية، وإن لم ينقل لنا التاريخ سيرهم وما جرى بينهم وبين مجتمعاتهم فى القارة.

الثانى: حل إشكالية التعارض

إلى هنا يبقى الكلام فى تتمة حل بعض الإشكالات التى قد تُطْرَح حول عدم تمامية هذه القاعدة، فيدعى البعض التعارض المستقر بين الآيات الدالة عليها وما يقابلها من الآيات السابقة الكلام عليها، وهنا نود تكملة التوضيحات لمناسبة المكان، وقد انتبه المفسرون إلى ذلك وقام بالجمع بينهما لحل التعارض بشكل أوضح.

فالآلوسى فى الجمع بين آية فاطر وآية يس قال: فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول‌اى لم يباشرهم بالإنذار لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا، فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبىّ كزيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن ساعدة، فلا منافاة بين (ما) هنا وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾، وليس فى ذلك إنكار الفترة المذكورة فى قوله تعالى: ﴿عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ لأنها فترة إرسال وانقطاعها زمانا لا فترة إنذار مطلقا (الآلوسى، ١٤١٥: ٣٨٦/١١).

وفى الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾ وقوله: ﴿وَما أَرْسَلْنا إِلَيهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أجاب الشيخ مغنية بقول: النذير فى الآية الأولى يشمل كل نذير نبيّا كان أم غير نبىّ، أما النذير فى الآية الثانية فالمراد به النبىّ بالخصوص، وعليه فلا تضاد بين الآيتين (مغنية، ١٤٢٤: ٢٨٨/٦). لكن الرازى بعد الإستدلال بآية النحل على شمولية البعثة فى جميع أقطار المعمورة أجاب على هذا بقوله: الدليل الذى ذكرناه لا يوجب أن يكون الرسول حاضرا مع القوم، لأن تقدّم الرسول لا يمنع من كونه رسولا إليهم، كما لا يمنع تقدم رسولنا من كونه مبعوثا إلينا إلى آخر الأبد، وتُحْمَل الفترةُ على ضعف دعوة الأنبياء ووقوع موجبات التخليط فيها. (الرازى، ١٤٢٠، ٢٦١/١٧)، كما يعتقد السيد العلامة أيضا بأنه ليس من الواجب أن يكون نذير كل أمة من أفرادها؛ فقد قال تعالى: «خَلا فِيها» ولم يقل: «خلا منها» (الطباطبايى، ١٤١٧: ٣٧/١٧).

فالرسالة لا تخلو من مبينٍ وموضِّحٍ لها والذی يقوم بتبليغها إلى الناس، سواء كان النبیّ حياً أو ميتاً، فالأوصياء والعلماء العدول و ورثة الأنبياء هم القائمون مقامه و بهم تستمر الرسالة و تبقى حية فعالة فی هداية الأمة إلى بعثة رسول آخر فيجدد للأمة دينها، و يغير بعض المسائل والأحكام التی كانت تدير أمورها عليها و يأتی بجديدة حسب الظروف التی تعيشها الأمة فی ذلك الزمان، وبعد مُضيه ينتقل الأمر إلى نبیّ أو وصی أو نائب ينصبه الإمام مكانه كما هو جارٍ فی اهل‌بيت النبوة والطهارة﵈.

الثالث: روايات فی المبحث

وأما البحث الروائی فی الآيات المذكورة فيمكن القول بأنه لم ينقل المفسرون و المحدثون روايات حول الآية الأولى والثانية، كما قَلَّت جدًّا فی الآية الرابعة حيث روى الشيعة رواية واحدة فی الكافی بسنده عن أبی جعفر محمّد بن علی بن الحسين﵇ أنه قال: «**يا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾ قِيلَ يا أَبَا جَعْفَرٍ نَذِيرُهَا محمّد| ؟ قَالَ صَدَقْتَ؛ فَهَلْ كَانَ نَذِيرٌ وَهُوَ حَی مِنَ الْبِعْثَةِ فِی أَقْطَارِ الْأَرْضِ؟ فَقَالَ السَّائِلُ لَا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ﵇: أَ رَأَيْتَ بَعِيثَهُ أَ لَيسَ نَذِيرَهُ كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ| فِی بِعْثَتِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ نَذِيرٌ فَقَالَ بَلَی؟ قَالَ فَكَذَلِكَ لَمْ يمُتْ محمّد إِلَّا وَلَهُ بَعِيثٌ نَذِيرٌ. قَالَ فَإِنْ قُلْتُ لَا فَقَدْ ضَيعَ رَسُولُ اللَّهِ| مَنْ فِی أَصْلَابِ الرِّجَالِ مِنْ أُمَّتِهِ. قَالَ وَمَا يكْفِيهِمُ الْقُرْآنُ؟ قَالَ بَلَی إِنْ وَجَدُوا لَهُ مُفَسِّراً. قَالَ وَمَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ| ؟ قَالَ بَلَی قَدْ فَسَّرَهُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَفَسَّرَ لِلْأُمَّةِ شَأْنَ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَهُوَ عَلِی بْنُ أَبِی‌طَالِبٍ﵇**» (الكلينی، ۱۴۰۷: ۱/۲۴۹-۲۵۰).

كما نشاهد أثراً واحداً أيضا عند أهل السنة حيث أخرج ابن‌أبی حاتم عن قتادة أنه قال: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ**﴾ يقول كل أمة قد كان لها رسول جاءها من الله. (ابن‌كثير الدمشقی، ۱۴۱۹: ۳۱۷۹/۱۰؛ والطبری، ۱۴۱۲: ۸۶/۲۲). نعم؛ فالراوية الأولى المروية عند الشيعة تاويل، كما أن الثانية عند السنة تفسير لقتادة حيث يستدل أهل السنه بأقوال الصحابة والتابعين.

وأمّا فيما يخص الآية الثالثة وهی قوله تعالى: ﴿**إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ**﴾ فيمكن القول بأنها هی معترك الروايات والأقوال، فقد اتفق المفسرون وعلماء الحديث من الشيعة وأهل السنة بأن النذير فيها هو الرسول|، وأما الهادی فهو مركز الأقوال بين الثلاثة إلى الستة تبعا للروايات الواردة فی الآية الشريفة. وهنا نفصل القول فيها حسب ما فی كتب المدرستين:

القسم الأول: روايات أهل السنة

والكتاب الذی جمع الروايات فی تفسير الآية بشكل أوسع هو «جامع البيان للطبری» حيث نقل فيما لا يقل عن خمس وعشرين رواية مقسمة إلى ستة أقوال. الأول: إن الهادی هو النبیّ محمّد|، وفيه ثلاث روايات تنتهی كلها إلى عكرمة وأبی الضحی. والثانی: هو الله تعالى، وفيه ست روايات تنتهی

إلى ابن‌عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك. والثالث: هو مطلق النبيّ، ففيه تسع روايات تنتهى السبعة منها إلى مجاهد والاثنتان الأخيرتان إلى قتادة و ابن‌زيد. والرابع: الهادى هو القائد والإمام الزعيم للأمة مطلقا، ففيه أربع روايات فالأوليان لأبى صالح والأخيرتان لأبى العالية ويحيى بن رافع. والخامس: هو الإمام على بن أبى طالب‌ﷺ، ففيه رواية واحدة تنتهى إلى ابن‌عباس. والسادس: هو الداعى إلى الله مطلقا، وفيه روايتان عن ابن‌عباس وقتادة.

ثم بعد نقل هذه الروايات قام بالجمع بينها بنحو ممتاز جداً؛ وإن أهمل الرواية فى أميرالمؤمنين علىﷺ حيث قال: و قد بينت معنى الهداية، وأنه الإمام المتبع الذى يقدم القوم. فإذا كان ذلك كذلك فجائز أن يكون ذلك هو الله الذى يهدى خلقه و يتبع خلقه هداه ويأتمون بأمره ونهيه، وجائز أن يكون نبيّ الله الذى تأتم به أمته، وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتم به ويتبع منهاجه وطريقته أصحابه، وجائز أن يكون داعيا من الدعاة إلى خير أو شر. وإذا كان ذلك كذلك، فلا قول أولى فى ذلك بالصواب من أن يقال (كما قال جل ثناؤه): إن محمّدا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، و إن لكل قوم هاديا يهديهم فيتبعونه و يأتمون به (الطبرى، ١٤١٢: ٧١/١٣-٧٢).

فالروايات المنقولة فى تفسير الآية كلها تنتهى إلى صحابى (و هو ابن‌عباس) أو تابعى، إلا ما جاء فى كون المراد بالهادى هو على بن أبى طالب‌ﷺ فهى مسندة إلى النبيّ|، وقد جاءت الرواية بأسانيد مختلفة عن الصحابة وكلهم يوصلها إلى رسول الله محمّد|: ففى جامع البيان عن ابن‌عباس، وفى تفسير ابن‌أبى حاتم عن علىﷺ (الرازى، ١٤١٩: ٢٢٢٥/٧)، وفى الدر المنثور بنقله عن ابن‌مردويه عن ابى برزة الأسلمى (السيوطى، ١٤٠٤: ٤٥/٤).

لكن العجب كل العجب هو محاولة الذهبى تضعيف الرواية فى تعليقه على المستدرك حيث قال الحاكم فيما رواه عن الإمام علىﷺ: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فعقّب الذهبى عليه بقوله: بل كذب قبح الله واضعه. (الحاكم النيسابورى، ١٤١١: ١٤٠/٣)، وقال ابن‌كثير فى رواية ابن‌عباس: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة. (ابن‌كثير الدمشقى، ١٤١٩: ٣٧٢/٤).

القسم الثانى: روايات الشيعة

وأما الروايات الشيعية فقد جاءت متعددة وبأسانيدة مختلفة تنتهى إلى محمّد بن على الباقر وابنه جعفر بن محمّد الصادقﷺ تارة تخصص بعلىﷺ وأخرى تعمم جميع الأئمةﷺ، فقد جاءت تسع روايات منها فى بصائر الدرجات بأسانيد متصلة إلى الأئمةﷺ فى ذلك. ومنها ما رواه بسنده «**عَنْ أَبِي جَعْفَرٍﷺ يَقُولُ ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ قَالَ الْمُنْذِرُ رَسُولُ اللَّهِ وَالْهَادِي عَلِي**» (الصفار، ١٤٠٤: ٣٠/١). ومنها ما ورد فى الكافى بسنده «**عَنِ الْفُضَيلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ**

وَجَلَّ «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» فَقَالَ كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِی هُوَ فِيهِمْ» (الكلينی، ۱٤۰۷: ۱۹۱/۱). وبسند أيضا «عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ عليه السلام فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ الْمُنْذِرُ وَ لِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يهْدِيهِمْ إِلَی مَا جَاءَ بِهِ نبیّ اللَّهِ، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِی ثُمَّ الْأَوْصِياءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ» (المصدر نفسه).

قال القمی فی تفسيره: «عن أبی عبدالله عليه السلام قال: المنذر رسول الله| والهادی أميرالمؤمنين عليه السلام و بعده الأئمة عليهم السلام وهو قوله «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍای فی كل زمان إمام هاد مبين وهو ردّ علی من ينكر أن فی كل عصر و زمان إماما و أنه لا تخلو الأرض من حجة» (القمی، ۱۳٦۷: ۳۵۹/۱).

نعم فهذه الروايات لا تقصد حصر المراد من الآية بالأئمة عليهم السلام فقط، وإنما تريد الكشف عن المصاديق الحقيقية والبارزة منها؛ لأن إطلاقها يمنع ذلك، بل يشمل الأنبياء والحجج والعلماء العدول قبل النبیّ| كما يشمل الذين بعده من الأئمة المعصومين عليهم السلام والعلماء الأتقياء والصلحاء المنصوبين من قبل الإمام عليه السلام ولا محذور منه، فقد أشرنا إلی كلام السيد الطباطبايی والشيخ مكارم فی الصفحات الماضية، وقال الأول بعد نقل مثل هذه الروايات أيضا: ومعنی قوله |: «أنا المنذر وعلی الهادی» أنّی مصداق المنذر والإنذار هداية مع دعوة، وعلی مصداق للهادی من غير دعوة وهو الإمام؛ لا أن المراد بالمنذر هو رسول الله| والمراد بالهادی هو علی عليه السلام فإن ذلك مناف لظاهر الآية البتة (الطباطبايی، ۱٤۱۷: ۳۲۷/۱۱).

وعليه يكون المراد أن لكل أمة من الأمم الماضية والحالية والآتية نبیّ أو إمام أو عالم تقی عدل وهو الهادی لها، ومنها الأمم الماضية فی التاريخ البشری فی إفريقيا. وعلی كل حال؛ فكل ما تقدّم من المباحث عبارة عن عموميات وإطلاقات وكليات من النصوص القرآنية والروائية؛ وهل هناك دليل آخر غير هذا؟ وهنا ندخل فی القسم الأخير من البحث.

هـ. مصاديق بعثة الأنبياء فی إفريقيا

الأول: الآيات فی المبحث

هناك آيتان مهمتان فی القرآن الكريم اللتان تردّان إشكالات وشبهات مختلفة علی القرآن الكريم فی عدم نقله التواريخ والقصص للأمم الماضية، ومن جهة أخری تكونان مؤيدتين لمضمون آيات العموم والشمول السابقة فی البعثة، كما تساعدان فی توضيح و تبيين المراد من الآيات النافية لذاك الشمول فی المبحث الثانی، ومن جانب ثالث أيضا كانتا مركز نقل بعض الروايات الدالة علی بعثة الأنبياء فی إفريقيا و صارتا محور التفات المفسرين فی ذكر بعض المصاديق أيضا. وهما قوله تعالی فی

سورة النساء: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيكَ﴾ (الآيـة: ١٦٤) وقولـه فـى سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَـمْ نَقْصُـصْ عَلَيـك﴾ (الآيـة: ٧٨)، وقد تقدم الكلام فى عدد الأنبياء فى صدر المقالة، وهنا نود البحث المصداقى فيها.

قال فى المجمع: ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيـكَ﴾ هذا يدل على أن الله سبحانه أرسل رسـلا كثيـرة لـم يذكرهم فى القرآن وإنما قص بعضهم على النبىّ لفضـيلتهم علـى مـن لـم يقصـهم عليـه. (الطبرسـى، ١٣٧٢، ٢١٨/٣)، فوضّح المراغى هذا بنحو أكثر بقوله: كالذين أرسلوا إلى الأمم المجهول تاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك؛ كالصين واليابان والهنـد وأوروبـا وأمريقـا (المراغـى، لا، ٢٢/٦). و أورد ابن‌عاشور بعض المصاديق بقوله:اى الذين لم يذكرهم اللّه تعـالى فـى القـرآن، فمـنهم أيضا من لم يرد ذكره فى السنّة: مثل حنظلة بن صفوان نبىّ أصحاب الرسّ، ومثل بعض حكمـاء اليونـان عند بعض علماء الحكمة. قال السهروردى فى حكمة الإشراق: «منهم أهل السفارة». ومنهم مـن ذكرتـه السنّة: مثل خالد بن سنان العبسى. (ابن‌عاشور، لا، ٣١٨/٤)، ويقول السيد فضـل‌الله فـى حكمـة عـدم الحاجة إلى ذكر كل الأسماء: لأن الكتاب ليس كتاب تاريخ عادى يستعرض كـل الوقـائع والأشـخاص والمواقف، بل هو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه، يأخذ من التاريخ فى وقائعه وأشخاصه ما يتصـل بـذلك الهدف، ويترك ما عدا ذلـك. (فضـل اللـه، ١٤١٩: ٥٤٥/٧)، ويكمّـل بيـان الـدليل صـاحب التحريـر والتنوير بقوله: وإنّما ذكـر اللّـه تعـالى هنـا الأنبيـاء الـذين اشـتهروا عنـد بنـى إسـرائيل لأنّ المقصـود محاجّتهم، وإنّما ترك اللّه أن يقصّ على النبىّ| أسماء كثيـر مـن الرسـل للاكتفـاء بمـن قصّـهم عليـه. (ابن‌عاشور، لا، ٣١٨/٤)، ويختم الفقرة الشيخ المراغى بقوله: وعلينا أن نعلم أن اللّه أرسل رسلا فى كل الأمم فكانت رحمته بهم عامة لا مختصة بشعب معين كما يزعم أهل الكتاب. (المراغى، لا، ٢٢/٦).

الثانى: الروايات فى المبحث

وأما الروايات المصرحة بالأنبياء الإفريقيين وغيرهم فمقسمة إلى قسمين: منها ما نُقِل فى كتب أهل السنة وأخرى ما ورد فى كتب الشيعة. أما الأول فمنها ما تقدم ذكرها فى بعض مَن قِيل بنبوتهم فى الأمـة العربية قبل بعثة النبىّ|، ومنها ما يختص بالبعثة فى إفريقيا خاصة.

أولا: روايات أهل السنة

فقد نقل الطبرانى فى المعجم الأوسط رواية واحدة، وأورد ابن‌أبى حاتم الرازى فـى تفسـيره روايتـين كلاهما بأسانيد تنتهى إلى جابر بن يزيد الجعفى عن عبد الله بن أبى نجى عن علـى أميرالمـؤمنين؈؛ وإن كان فى الطبرانى قال عن ابن‌عبد الله بن نجى ثم عن على؈ أنه فى قوله: «مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيـكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيكَ» قال: بعث الله عبدا حبشيا نبيّا، فهو الذى لم يقصص على محمّد|. ثم قـال

الطبرانی: لا یروی عن علی إلا بهذا الإسناد، تفرد به آدم (الطبرانی، ۱٤۱۵: ۱۲۷/۹). وفی لفظ الروایة الأولی من تفسیر ابن‌أبی حاتم قال: بعث الله نبیّا عبدا حبشیا فهو ممن لم یقصه علی محمّد|، وفی الثانیة قال: بعث نبیّ من الحبش فهو ممن لم یقصه علی محمّد|. (ابن‌أبی حاتم، ۱٤۱۹: ۱۱۱۹/٤)؛ وعلی کل حال فالمراد واحد، وکل مَن أورد هذا الحدیث مِن أهل السنة فی کتابه فإما نقله عن ابن‌أبی حاتم أوالمعجم الأوسط للطبرانی، والسند عندهم غیر معتبر وضعیف جداً لوجود جابر بن یزید الجعفی الذی هو من أوثق رواة الشیعة الإمامیة وفضلائهم؛ بینما عند الإخوة من أهل السنة مع کثرة روایته فی کتبهم اتهموه بالکذب. (الألبانی، ۱٤۰۵: ۲٦۷/۷؛ والألبانی، ۱٤۱۲: ۱٤۸/۲، ۱۹۵/۹ و ۲۳۳)، وأما الطبرانی فقد أشار إلی تفرد الروایة بهذا السند عن علی‌علیه‌السلام، ولم یقل بضعف السند وعدم اعتباره بشخص معین.

وقد یظهر أن أصل الروایة ومصدرها من أهل البیت‌علیهم‌السلام و رواها عنهم أصحابهم خاصة، فنقلها بعض الرواة من أهل السنة حیث نشاهد الروایة بشکلها المفصل فی بعض المصادر الإمامیة المعتبرة.

ثانیا: روایات الشیعة

ومن الروایات الشیعیة ما جاء فی المحاسن بسنده «**عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ‌علیه‌السلام قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ نبیّاً حَبَشِیاً إِلَی قَوْمِهِ فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ أَصْحَابُهُ وَأُسِرُوا وَخَدُّوا لَهُمْ أُخْدُوداً مِنْ نَارٍ ثُمَّ نَادَوْا مَنْ کَانَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا فَلْیَعْتَزِلْ وَمَنْ کَانَ عَلَی دِینِ هَذَا النبیّ فَلْیَقْتَحِمِ النَّارَ فَجَعَلُوا یَقْتَحِمُونَ النَّارَ وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِی لَهَا فَهَابَتِ النَّارَ فَقَالَ لَهَا صَبِیهَا اقْتَحِمِی قَالَ فَاقْتَحَمَتِ النَّارَ وَهُمْ أَصْحابُ الْأُخْدُود**» (البرقی، ۱۳۷۱:۱/۲٤۹).

وکذا فی قصص الأنبیاء بسنده «**عن أبی جعفرعلیه‌السلام قال: إن أسقف نجران دخل علی أمیرالمؤمنین‌علیه‌السلام فجری ذکر أصحاب الأخدود فقال‌علیه‌السلام: بعث الله نبیّا حبشیا إلی قومه وهم حبشة فدعاهم إلی الله تعالی فکذبوه وحاربوه وظفروا به وخدوا أخدودا وجعلوا فیها الحطب والنار فلما کان حرا قالوا لمن کان علی دین ذلك النبیّ‌علیه‌السلام اعتزلوا و إلا طرحناکم فیها فاعتزل قوم کثیر وقذف فیها خلق کثیر**» (الراوندی، ۱٤۰۹: ۱٤٦).

و یبدو أنّ کون الأصل و مصدر الروایتین هو کتاب المحاسن للبرقی والشیخ الصدوق کما أسندها إلیه الراوندی، ولکن لم أوفق بالوصول إلیها فی کتبه. وعلی کل حال؛ فالروایة موافقة بعمومات القرآن الکریم السابقة ومبینة للآیتین فی هذا الباب وإن لم یصحّ سندها، وقد نقلها کثیر من العلماء فی تفاسیرهم، کما تؤیدها مضامین الروایات الأخری الدالة علی تقسیم الأنبیاء إلی قسمین: الأول: الذی ظهر صیته وأعلن الدعوة بین الناس، وهم الذین سموا فی الروایات بـ«المُستَعْلِنین»، والآخر الذی لم یکن کذلك وهم المذکورین بـ«المُسْتَخْفِین».

فقد جاء فی کتاب الکافی بسنده عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ﵇ فی حدیث طویل عند بیانه قصة آدم وأبنائه حیث وصل إلی قصة النبیّ شیث﵇ وتهدید قابیل حیث قال الأخیر: «**فَإِنَّكَ إِنْ أَظْهَرْتَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِی اخْتَصَّكَ بِهِ أَبُوكَ شَیئاً قَتَلْتُكَ كَمَا قَتَلْتُ أَخَاكَ هَابِیلَ فَلَبِثَ هِبَةُ اللَّهِ وَالْعَقِبُ مِنْهُ مُسْتَخْفِینَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِیمَانِ وَالِاسْمِ الْأَكْبَرِ وَمِیرَاثِ النُّبُوَّةِ وَ آثَارِ عِلْمِ النُّبُوَّةِ حَتَّی بَعَثَ اللَّهُ نُوحاً﵇**» (الکلینی، ۱۴۰۷: ۱۱۵/۸).

وفی کمال الدین أیضا بسنده «**عَبْدِالْحَمِیدِ بْنِ أَبِی‌الدَّیلَمِ قَالَ قَالَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ محمّد﵇ یا عَبْدَالْحَمِیدِ إِنَّ لِلَّهِ رُسُلًا مُسْتَعْلِنِینَ وَ رُسُلًا مُسْتَخْفِینَ فَإِذَا سَأَلْتَهُ بِحَقِّ الْمُسْتَعْلِنِینَ فَسَلْهُ بِحَقِّ الْمُسْتَخْفِینَ**» (الصدوق، ۱۳۹۵: ۲۱/۱).

وعلی کل حال؛ فالروایات المنقولة تتطابق مع العمومات فی القرآن الکریم فی إثبات بعثة الأنبیاء فی کل الأمم والأقوام الماضیة والتی منها الأمم فی إفریقیا، کما تشیر روایات أخری إلی بعض المصادیق الکلیة أیضا حتی لو کان سندها فی مصادر کلا المدرستین غیر معتبرة بدلیل مقبول أو غیره.

فمن باب تعیین المصادیق وإثبات البعثة فی إفریقیا یمکن الإشارة إلی ما ألّفه الشیخ أبو قرون النّیل بن عبد القادر من الباحثین السودانیین تحت عنوان: (نبیّ من بلاد السودان) فی قراء جدید لقصة موسی وفرعون، حیث تتبع القصة من القرآن الکریم وقرأها بمنهجه الجدید وادّعی فیها کون فرعون الذی عاش مع النبیّ موسی﵇ من قوم النوبة التی کان موطنها ومسکنها التاریخی إلی الیوم فی شمال السودان، وهم من الإفریقیین السود (أبو قرون، لا، ۷ و۱۰)، وأورد الصور التاریخیة الدالة علی مدعاه فی أواخر الکتاب، وکان فی محاولة لإثبات سکونة یوسف﵇ وبعثته فی تلك المنطقة حیث هاجر بنو إسرائیل من فلسطین إلیها، وبعد قرون من سکنهم ولد موسی﵇، ثم کانت بعثته فیها قبل مضایقة فرعون إیاهم و رجوعهم إلی الأرض المقدسة بأمره تعالی کما فی القرآن الکریم (المصدر، ۱۵ و ۱۰۹ وما بعدها)؛ والله أعلم.

ففی کل ما سبق یمکن القول بأنه من غیر معقول أن یخلق الله سبحانه أمة ما و یسْکِنها فی منطقة من مناطق العالم لمدة آلاف سنین ومآت قرون، ویصل عددها إلی ملایین نسمة، ویذکر سبحانه بأنه خلقها لهدف معین، وهو الذی یحدد المنهج والمسلك للوصول إلیه، ثم لا یهیئ الأرضیة و لایعین الطریق والمسلك لتحققه، فیترك الناس سدی وهم أمم کُثُر فی إفریقیا وآسیا وأروبا مع نفیه المطلق خلقَ البشرِ عبثا وسدی ولعبا.

نعم؛ لیس لدینا نص صریح ومعتبر یعین ویشخص لنا أسماء الأنبیاء المبعوثین فی إفریقیا لکن بالإستناد إلی ما سبق من الآیات والروایات نقطع بتحقق البعثة فی إفریقیا کما یمکن الاعتقاد بها لجمیع

الأمم من اليابانيين والصينين والهنديين والأروبيين وغيرهم من الأمم الأخرى، ولا يمكن القبول بتركهم هملا وفی آلاف سنين و أعوام أو منذ خلقهم وسكونتهم فی مناطقهم مع إثبات النصوص بخلقهم لهدف معين ومحدد كما فی المباحث السابقة.

النتيجة

إن دراسة الأدلة من المعقول والمنقول مع الرجوع إلى المصادر التاريخية فی هذا البحث يثبت لنا كبرى المسألة وهی ثبوت بعثة الأنبياء فی القارة السمراء كما أثبت البحث تحققها فی جميع الأمم أيضا، وأما إثبات الصغرى والتی هی عبارة عن مصاديق الأنبياء والرسل فی القارة الإفريقية فالأدلة قاصرة عن ذلك حسب تتبعنا؛ نعم فقد حاول الشيخ النيل أبو قرون إثبات بعثة النبیّ يوسف والنبیّ موسی‌ﷺ فی إفريقيا، كما أشارت رواية ضعيفة فی مصادر مدرستين إلى بعثة نبیّ حبشی فكذبه قومه وقتلوه وأتباعه. ونرجو التوفيق للباحثين الأُخَر فی كشف هذه الحقيقة القرآنية التی لا نشك فی ثبوتها وتحققها وإن لم تكتشف لنا حاليا مصاديقها البارزة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مصادر البحث

١. القرآن الكريم.

٢. الآلوسی، السید محمود (١٢٧٠هـ)، روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم، الطبعة الأولی، بیروت: دارالکتب العلمیة، ١٤١٥ق.

٣. الألبانی، محمّد ناصر الدین بن نوح، إرواء الغلیل فی تخریج أحادیث منار السبیل، الطبعة الثانیة، بیروت: المکتبة الإسلامیة، ١٤٠٥ق.

٤. الألبانی، محمّد ناصر الدین بن نوح، سلسلة الأحادیث الضعیفة والموضوعة وأثرها السیئ فی الأمة، الطبعة الأولین الریاض: دارالمعارف، ١٤١٢ق.

٥. الأندلسی، أبو حیان محمّد بن یوسف، البحر المحیط فی التفسیر، تحقیق: محمّد جمیل الصدقی، بیروت: دارالفکر، ١٤٢٠ق.

٦. الأندلسی، عبد الحق بن غالب بن عطیة (٥٤١هـ)، المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، تحقیق: عبد السلام بن عبد الشافی، الطبعة الأولی، بیروت: دارالکتب العلمیة، ١٤٢٢ق.

٧. ابن‌بطال، علی بن خلف البکری القرطبی، شرح صحیح البخاری، تحقیق: أبو تمیم یاسر بن إبراهیم، الطبعة الثانیة، الریاض: مکتبة الرشاد، ١٤٢٣ق.

٨. ابن‌خلدون، عبد الرحمن بن محمّد (٨٠٨هـ)، تاریخ ابن‌خلدون، تحقیق: خلیل شحاة، الطبعة الثانیة، بیروت: دارالفکر، ١٤٠٩ق.

٩. ابن‌عاشور، محمّد بن عاشور، التحریر والتنویر، جامع التفاسیر٢، لات.

١٠. ابن‌عجیبة، أحمد بن محمّد، البحر المدید فی تفسیر القرآن المجید، تحقیق: أحمد بن عبد الله القرشی، القاهرة: دکتر حسن عباس زکی، ١٤١٩ق.

١١. ابن‌فارس، أحمد (٣٩٥هـ)، معجم مقاییس اللغه، الطبعة الأولی، قم: الإعلام الإسلامی، لات.

١٢. أبو قرون، النیل بن عبد القادر، نبیّ من بلاد السودان، قراءة مغایرة لقصة موسی وفرعون، لام، لاك، لاب، لات.

۱۳. أدوارد ليبسكای (۲۰۰٤م)، إيريتريا فينيقيا، بيترز الناشرين، نسخة محفوظة فی موقع وای باک مشين ۲۰۱۵/۰۱/۲۸م.
۱٤. البرقی، أحمد بن محمّد بن خالد(۲۷٤ أو ۲۸۰هـ)، المحاسن، تحقيق: جلال الدين محدث، الطبعة الثانية، طهران: دارالكتب الإسلامية، ۱۳۷۱ق.
۱۵. البيضاوی، عبد الله بن عمر (٦۸۵ أو ٦۹۱هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد الرحمن المرعشلی، الطبعة الأولی، بيروت: دار إحياء التراث العربی، ۱٤۱۸ق.
۱٦. الجوهری، إسماعيل بن حمّاد (۳۹۳هـ)، الصحاح، تحقيق: عطار، أحمد عبد الغفور، الطبعة الأولی، بيروت: دارالعلم للملايين، لات.
۱۷. جيو بابيتون مايكل(۱۹۰۳م)، الأمازيغ، مجلة الجمعية الملكية للشعوب الإفريقية. كتاب عن الخط، فی موقع وای باك مشين، نسخة محفوظة ۲۰۲۰/٤/٦م.
۱۸. الخرازی، السيد محسن، بداية المعارف الإلهية فی شرح عقائد الإمامية، الطبعة الرابعة، قم:مؤسسة النشر الإسلامی، ۱٤۱۷ق.
۱۹. الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآنی للقرآن، جامع التفاسير۲، لام، لات.
۲۰. الحاكم النيشابوری، محمّد بن عبد الله()، المستدرك علی الصحيحين مع تعليق الذهبی، تحقيق: مصطفی عبد القادر عطا، الطبعة الأولی، بيروت: دارالكتب العلمية، ۱٤۱۱ه،
۲۱. الدمشقی، إسماعيل بن عمرو ابن‌كثير (۷۷٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، محمّد الحسين شمس الدين، الطبعة الأولی، بيروت: دارالكتب العلمية، ۱٤۱۹ق.
۲۲. ديكارت و فانتار(۱۹۸۱م)، أسماء البلدان، علی موقع وای باك مشين، نسخة محفوظة ۲۰۱۷/۰۸/۱۵م .
۲۳. الرازی، ابن‌أبی حاتم، عبد الرحمن بن محمّد (۳۲۵هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، الطبعة الثالثة، السعودية: مكتبة النزار مصطفی الباز، ۱٤۱۹ق.
۲٤. الرازی، محمّد بن عمر(٦۰٦هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث العربی، ۱٤۲۰ق.
۲۵. الراغب الإصفهانی، الحسين بن محمّد(٤۰۱هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان الداودی، الطبعة الأولی، بيروت: دارالقلم، ۱٤۱۲ق.

۲۶. الراوندی، سعید بن خبة الله، قصص الأنبیاء، تحقیق: غلامرضا عرفانیان، الطبعة الأولی، مشهد: مرکز البحوث الإسلامیة، ۱٤۰۹ق.
۲۷. الزحیلی، وهبة بن المصطفی، معاصر)، التفسیر المنیر فی العقیدة والشریعة والمنعج، الطبعة الثانیة، دارالفکر المعاصر، بیروت: ۱٤۱۸ق.
۲۸. السبحانی، جعفر، الإلهیات علی هدی الکتاب والسنة والعقل، الطبعة الثالثة، قم: المرکز العالمی للدراسات الإسلامیة، ۱٤۱۲ق.
۲۹. السبحانی، جعفر(معاصر)، الفکر الخالد فی بیان العقائد، الطبعة الأولی، قم: مؤسسة الإمام الصادق، ۱٤۲۵ق.
۳۰. السبزواری، محمّد بن حبیب الله(۱٤۰۹هـ)، إرشاد الأذهان إلة تفسیر القرآن، الطبع الأولی، بیروت: دارالتعارف، ۱٤۱۹ق.
۳۱. السید قطب بن أبراهیم (۱۳۸۷هـ)، فی ظلال القرآن، الطبعة السابعة، بیروت: دارالشروق، ۱٤۱۲ق.
۳۲. السیوطی، عبد الرحمن بن أبی بکر (۹۱۱هـ)، الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور، ط، قم: مکتبة المرعشی، ۱٤۰٤ق.
۳۳. الشیرازی، ناصر مکارم، معاصر، الأمثل فی تفسیر کتاب الله المنزل، الطبعة الأولی، قم: مدرسة الإمام علی بن أبی طالب، ۱٤۲۱ق.
۳٤. الشیرازی، ناصر مکارم، نفحات القرآن، الطبعة الأولی، قم: مدرسة الإمام علی بن أبی طالب، ۱٤۲٦ق.
۳۵. الصدوق، محمّد بن علی(۳۸۱هـ)، التوحید، تحقیق: هاشم الحسینی، الطبعة الأولی، قم: جامعة المدرسین، ۱۳۹۸،
۳٦. الصدوق، محمّد بن علی (۳۸۱هـ)، الخصال، تحقیق: علی الأکبر الغفاری، الطبعة الأولی، قم: جامعة المدرسین، ۱۳٦۲ش،
۳۷. الصدوق، محمّد بن علی (۳۸۱هـ)، عیون أخبار الرضا، تحقیق: مهدی لاجوردی، الطبعة الأولی، طهران: نشر جهان، ۱۳۷۸ق.

۳۸. الصدوق، محمّد بن علی (۳۸۱هـ)، کمال الدین وتمام النعمة، تحقیق: علی الأکبر الغفاری، الطبعة الثانیة، طهران: دارالکتب الإسلامیة، ۱۳۹۵ق.
۳۹. الصدوق، محمّد بن علی (۳۸۱هـ)، علل الشرائع، الطبعة الأولی، قم: مکتبة داوری، ۱۳۸۵ش،
۴۰. الصفار، محمّد بن الحسن(۲۹۰هـ)، بصائر الدرجات فی فضائل آل محمّد، تحقیق: محسن بن عباسعلی، الطبعة الثانیة، قم: مکتبة المرعشی، ۱۴۰۴ق.
۴۱. الصابونی، علی، النبوة والأنبیاء، الطبعة الثالثة، دمشق: مکتبة الغزالی، ۱۴۰۵،
۴۲. الطباطبایی، محمّد حسین(۱۴۰۲هـ)، المیزان فی تفسیر القرآن، الطبعة الخامسة، جامعة المدرسین، قم: مکتبة النشر الإسلامی، ۱۴۱۷،
۴۳. الطبرانی، سلیمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقیق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسینی، القاهرة: دارالحرمین، ۱۴۱۵ق.
۴۴. الطبرسی، الفضل بن الحسن (۵۴۷هـ)، مجمع البیان فی تفسیر القرآن، تحقیق: محمّد جواد البلاغی، الطبعة الثالثة، طهران: ناصرخسرو، ۱۳۷۲ش،
۴۵. الطبری، محمّد بن جریر (۳۱۰)، تاریخ الأمم والملوك، تحقیق: محمّد أبو الفضل إبراهیم، الطبعة الثانیة، بیروت: دارالتراث العربی، ۱۳۸۷ق.
۴۶. الطبری، محمّد بن جریر (۳۱۰هـ)، جامع البیان فی تفسیر القرآن، الطبعة الأولی، بیروت: دارالمعرفة، ۱۴۱۲ق.
۴۷. الطوسی، محمّد بن الحسن (۵۴۰هـ)، التبیان فی تفسیر القرآن، تحقیق: أحمد قصیر العاملی، بیروت: دار إحیاء التراث العربی، لات.
۴۸. الطهرانی، محمّد صادقی (معاصر)، الفرقان فی تفسیر القرآن بالقرآن، الطبعة الأولی، قم: نشر الثقافة الإسلامیة، ۱۳۶۵ش.
۴۹. العینی، بدر الدین الحنفی، عمدة القاری شرح صحیح البخاری، مکتبة الشاملة، لات.
۵۰. الغرناطی، محمّد بن أحمد بن جزی(۷۴۱هـ)، کتاب التسهیل لعلوم التنزیل، تحقیق: عبد الله الخالدی، الطبعة الأولی، بیروت: دارالأرقم بن أبی الرقم، ۱۴۱۶ق.

۵۱. الفراهیدی، الخلیل بن أحمد(۱۷۵هـ)، کتاب العین، الطبعة الثانیة، قم: نشر هجرت، لات.
۵۲. فضل الله، السید محمّد حسین (معاصر)، تفسیر من وحی القرآن، الطبعة الثانیة، بیروت: دارالملاك للملایین، ۱٤۱۹ق.
۵۳. القمی، علی بن إبراهیم، تفسیر القمی، تحقیق: الموسوی الجزائری، الطبعة الرابعة، قم: دارالکتاب، ۱۳٦۷ش،
۵٤. الکلینی، محمّد بن أسحاق(۳۲۹هـ)، الکافی، تحقیق: علی الکبر الغفاری ومحمّد الآخوندی، الطبعة الرابعة، طهران: دارالکتب الإسلامیة، ۱٤۰۷ق.
۵۵. المدرسی، السید محمّد التقی (معاصر)، من هدی القرآن، الطبعة الأولی، طهران: دار محبی الحسین، ۱٤۱۹ق.
۵٦. المراغی، أحمد بن مصطفی (۱۳۷۱هـ)، تفسیر المراغی، بیروت: دار إحیاء التراث العربی، لات.
۵۷. مغنیة، محمّد جواد (۱٤۰۰هـ)، التفسیر الکاشف، الطبعة الأولی، طهران: دارالکتب الإسلامیة، ۱٤۲٤ق.
۵۸. الیعقوبی، أحمد بن واضح (۲۸٤ او ۲۹۲هـ)، تاریخ الیعقوبی، بیروت: دار صادر، لاط، لات.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی